Journal of Alasmarya University
Volume 15, December 2010

مجلة الجامعة الأسمرية
المجلد الخامس عشر، ديسمبر 2010

موقف الإسلام من الإرهاب

د. أحمد محمد ارحومة*

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ① قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ② مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا﴾ [الكهف: 1-3] والصلاة والسلام على من تلقى من ربه ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: 33] سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه أجمعين ... وبعد:

فمنذ بدأ الإنسان حياته على ظهر هذه الأرض وهو يحاول ما استطاع أن يعيش آمنا مطمئنا لا يروعه شيء، ولا يحول بينه وبين ما يسعى إليه من رغد وسعادة حائل ما، وكانت محاولات الإنسان تتضاعف كلما نما عدده، وتكاثرت أفراده، وتعددت مشكلاته، ومن ثم عرفت البشرية عبر مراحل تاريخها المختلفة فلاسفة وعلماء كانوا في رهينة على وضع التعاليم والقيم التي تكفل للمجتمع الإنساني كل ما يحفظ على الإنسان أدبه وكرامته واستقرار حياته.

ولقد كان من رحمة الله بخلقه أنه لم يدعهم -على ما منحهم من طاقات فكرية- إلى أنفسهم يضطربون في الحياة على غير هدي، وإنما أرسل إليهم أنبياءه ورسله مبشرين ومنذرين، وتتابع هؤلاء منذ آدم عليه السلام إلى خاتم المرسلين سيدنا محمد ﷺ، وكان ما بعث به هذا النبي هو اللبنة الأخيرة والمكملة لبناء المجتمع الإنساني إلى أن يقوم الناس لرب العالمين، ومن هنا كان القرآن الكريم دعوة الله إلى الناس كافة، وكان

* الجامعة الأسمرية.

صالحا للتطبيق الدائم، وكان الكتاب السماوي الوحيد الذي حفظه الله تعالى من التحريف والتبديل، ويظل كذلك إلى يوم الدين منارا للقدوة والعزة والحياة الإنسانية الكريمة.

إذ أنه لا صلاح لهذه الأرض، ولا راحة لهذه البشرية، ولا طمأنينة لهذا الإنسان ولا رفعة ولا بركة ولا طهارة ولا أمن ولا أمان إلا بالرجوع إلى الله تعالى، ومن هنا وفي القرن الأخير يعاني الغرب من القلق والحيرة والأمراض النفسية والعصبية ما يجعلهم يبحثون عن عدو يعتقدون أنه يرحمهم مما هم فيه من بؤس وشقاء وحقد على الإسلام والمسلمين توارثوه جيلا بعد جيل، إذ كانت أجهزة الإعلام الغربية، والتقارير الاقتصادية، الاستخباراتية وغيرها، قد ركزت منذ عام 1989 على الخطر الإسلامي القادم، ومن بين مظاهر الخطر –حسب وجهة نظرهم– ثورات القوميات الإسلامية في الاتحاد السوفيتي سابقا من ،أجل تحطيمه واتجاه عدد من الدول الإسلامية في إنتاج الأسلحة الاستراتجية، وتصاعد الحجم الديموغرافي للمسلمين مع سوء الأوضاع الاجتماعية، مما يدفع وسيدفع ملايين للتدفق باتجاه عالم الشمال، وصعود الحركات (الأصولية) المعادية للغرب في كثير من بلدان العالم الإسلامي، كل ذلك ضمن مخطط متكامل ومدروس لرسم وتضخيم صورة (العدو) في الذهنية الغربية للعرب والمسلمين، في الوقت الذي شنت فيه حروب مباشرة أو بالواسطة على بلدان وفي جهات مختلفة من العالم الإسلامي، ولم يجد بعض المحللين حرجا في القول عام 1990: إن الغرب يبحث عن (عدو) جديد بعد انتهاء الشرق السوفيتي والحرب البادرة. وصورة العدو هذه ضرورية لاستقطاب الرأي العام، وتبرز الاستمرار في موازنات التسلح، وفي شن الحروب التي تحكم السيطرة على الثروات والموارد، وتؤمن للأنظمة الرأسمالية الكبرى تحت غطاء (الديمقراطية) و (حرية السوق) و(الاستقرار) و(الازدهار) كما هو كائن منذ مطلع هذا القرن.

وعلى هذا النحو تتواصل المواجهة بين الولايات المتحدة وبريطانيا من جهة والدول الإسلامية من جهة أخرى لمحاصرة الدول الإسلامية والعربية اقتصاديا وسياسيا وداخليا، واندفاعها في اتجاه تفجير أزمات دولية تتيح لها استخدام قواتها العسكرية لإحكام سيطرتها على مقدرات العالم الإسلامي ونهب ثرواته وإرهابه في جميع مناحي الحياة، والتاريخ خير شاهد على ذلك.

وأسمح لنفسي أن أضيف دون تزايد: إننا بصدد ما يمكن أن نطلق عليه (صيغة

جديدة للإرهاب الدولي) أو (إرهاب النظام الدولي الجديد).

وفي الحقيقة: فإن العرب والمسلمين عموما، لا يمكن أن يتهموا بهذه الصيغة الجديدة للإرهاب، أو التطور النوعي في قصة الإرهاب الدولي، لأنه ليس بوسعهم أن يمتلكوا أدواته ووسائله، لا هم ولا غيرهم باستثناء الولايات المتحدة، وللأسف فإن الولايات المتحدة فيما يبدو مصرة على أن تلعب هذا الدور برغم كل ما تدعيه من مقاومة للإرهاب حيثما كان، والصيغة الجديدة -التي نخشى أن تتوسع- هي القوة المهيمنة والمنفردة بالعالم الآن في استخدامها وممارستها لأقصى درجات الإرهاب تحت مظلة المجتمع الدولي، واحتكار التحدث باسمه بحق أو بغير حق.

وأستطيع أن أقول: إن مفهوم الإرهاب الدولي نشأ في أحضان وسائل الإعلام الغربية، أي إنه في الأصل مفهوم دعائي وليس علمياً. ومن الصعب -بل ومن الخطأ من الناحية العلمية- قبوله هكذا دون تمحيص ودون مناقشة، ومن هذا المنطلق فلا مناص من أن نقدم وجهة نظرنا فيه، وضرورة التمييز القطعي بين المفهوم الغربي للإرهاب وبين مفهومنا نحن المسلمين، حيث إن الذين يوجهون عرائض الاتهام هم أساتذة كبار في الإرهاب وأصحاب اليد العليا في الممارسة.

إن ثمة فارقاً بين الإرهاب المنسوب إلى أفراد أو جماعات أو منظمات، وبين ما يطلق عليه إرهاب الدولة، وكأن تقوم دولة وبصورة علنية باقتحام دولة أخرى لأغراض التأديب أو الترويع للمدنيين فيها أو خطف رئيسها، كما فعلت الولايات المتحدة في بنما، وعندما خطفت الطائرة المدنية المصرية، وكذلك ما فعلته مع الجماهيرية عام 1986يضرب مدينتي طرابلس وبنغازي عن طريق أسطولها الرابط أمام الشواطئ الليبية وطائراتها التي اعتدت على المجال الجوي الليبي وما تفعله الصهيونية يومياً في الأراضي العربية المحتلة من قتل وتشريد واضطهاد للمواطنين دون وازع من قانون دولي، أو بالقصف المتوالي للجنوب اللبناني دون أن يصفها الغرب بالإرهاب. وكأن هذه الصفة لا يصح أن تطلق على غير العرب!

وهذه البدهيات والحقائق تشير على نحو واضح إلى بعض ملامح ما نسميه إرهاب النظام الدولي الجديد.

والأمر الخطير أن يمارس الإرهاب الدولي باسم المجتمع الدولي لقمع دول يقال عنها -دون بينة حقيقية- إنها تتبنى الإرهاب، فعندما لا يكون هناك مفهوم محدد في

القانون الدولي لما يقال له إرهاب يمكن وصم أية دولة بهذه التهمة وكسر عظامها.

ولذلك فمنذ أشرقت شمس الدعوة إلى الحق، وأضاء نور الدعوة إلى الخلق، وأعداء الإسلام يكيدون للإسلام بشتى الطرق، ومختلف الأساليب، ويمكرون بأهله، ويتربصون بأتباعه ودعاته.

وقد استعمل أعداء الدعوة في محاربة الإسلام منذ اللحظة الأولى وإلى اليوم أسلحة متنوعة، وسلكوا طرقا متعددة. من ذلك أن الغرب جرد حملات غزت الشرق الإسلامي باسم الصليب وتحت رايته، وكان رجال الكنيسة في أوروبا يدفعون الملوك والشعوب إلى هذه الحروب الصليبية، ولما رأت الأمة الإسلامية الصليب فوق رؤوس أعدائها انقضت تحارب أعداء الله وأعداءها بكل سبيل، واسترخصت الدم والروح في سبيل الله، وتعجلت لقاء الله وجنته، فأعطاها الله الحسنيين النصر والجنة، وارتدت حملات الصليب على أعقابها خاسرة بعد معارك طاحنة استمرت قرنين كاملين.

ولا يخفى على أحد ما قام به أعداء الإسلام في السنين الماضية -وما زالوا- ضد المسلمين في الدول الغربية والأوروبية، والدول الإسلامية، للقضاء عليهم وإبادتهم، حيث شهدت بلاد كثيرة عمليات إرهابية غربية، من ذلك العمليات الإرهابية ضد مسلمي البوسنة والهرسك، وبورما، وكشمير، وكوسوفو والعراق وأفغانستان، فقد تم تشريد أهل هذه البلاد، وقتل أطفالها، والاعتداء على نسائها، وهدم مقدساتها، وإغلاق مدارسها ومؤسساتها، وتخريب بيوتها. ومع هذا كله لم يصف الغرب الصليبي نفسه بالإرهاب، ويتهم نفسه بالعنف والعدوان.

ولم يقف الغرب في محاربة الإسلام عند هذا الحد، ولكنه اتهم الإسلام بالإرهاب، واعتبر ما يقول به المسلمون في كل مكان دفاعا عن عقيدتهم، وحماية لمقدساتهم، وأعراضهم، وأموالهم إرهابا وعدوانا.

ولا يخفى على أحد أيضاً أن أعداء الإسلام -خاصة الغرب الصليبي- يقصدون بهذا الادعاء الباطل، والافتراء الواضح، تشويه الإسلام، والتشكيك في عقيدته، لصرف الناس عنه، والتشويش على المجاهدين في سبيل الله وقتل المقاومة المشروعة.

ولإحباط هذه المحاولة الغربية الماكرة ضد الإسلام والمسلمين، وإبطال هذه الدعوى الباطلة، وتفنيد هذه الشبهة، وإظهار الحق، اقتضى الأمر توضح مفهوم الإرهاب بين الإسلام والغرب، وأن الإسلام ليس دين عنف وإرهاب، ولكنه دين رحمة وسلام،

يرفض الاعتداء والإرهاب، والعنف والإكراه، وأن ما يردده الغربيون عن الإسلام الحنيف، وما يروجه الأوربيون عن المسلمين، شبه باطلة، وادعاء كذب، لا أساس له، وأن الإسلام برئ مما يقولون، إن المسلمين أبرياء مما يدعون، ولإثبات أن الإرهاب المشتمل على العنف والقتل، والسلب والنهب، والتعذيب والتنكيل مصدره الغرب الصليبي الحاقد، وهو وسيلة من وسائله في محاربة الإسلام، والقضاء على المسلمين، والاعتداء على مقدساتهم، وأغراضهم، كان اختياري لهذا البحث الذي بين أيدينا والموسوم بعنوان (موقف الإسلام من الإرهاب).

وهو يتكون من المقدمة، ومبحثين وكل مبحث يحتوي على عدة مطالب، وخاتمة. والله من وراء القصد.

المبحث الأول: الإسلام دين السلام ونبذ الإرهاب

المطلب الأول: مفهوم الإرهاب في الإسلام

أولا: عند علماء اللغة

جاء في لسان العرب «رهب بالكسر يرهب رهبة ورهبا بالضم ورهبا بالتحريك أي خاف، ورهب الشيء رهبا ورهبا خافه، والاسم الرهب، والرهبى والرهبوت والرهبوتي. وترهب غيره إذا توعده. الرهبة: الخوف والفزع جمع بين الرغبة والرهبة. وأرهبه ورهبه واسترهبه وفزعه، استرهبه استدعى رهبته حتى رهبه الناس، وبذلك فسر قوله تعالى: ﴿وَٱسۡتَرۡهَبُوهُمۡ وَجَآءُو بِسِحۡرٍ عَظِيمٖ﴾ [الأعراف: 116] أي أرهبوهم، قال ابن الأثير هي الحالة التي ترهب أي تفزع وتخوف»[1].

وجاء في أساس البلاغة: «رهبته وفي قلبي منه رهبة ورهبوت، وهو رجل مرهوب، عدوه منه مرعوب، وأرهبته ورهبته واسترهبته: أزعجت نفسه بالإخافة، وتقول: يقشعر الإرهاب إذا وقع الإرهاب»[2]. وقال صاحب مجمل اللغة «الرهبة: الخوف. وهو الرهب»[3]. وقال الرازي في مختار الصحاح «رهب خاف، وأرهبه واسترهبه أخافه»[4]

1- لسان العرب. لابن منظور. ج1 ص 421، 420. مادة رهب.

2- أساس البلاغة. الزمخشري ص 181. مادة رهب

3- مجمل اللغة. لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا اللغوي، ج1 ص401 مادة رهب

4- مختار الصحاح. الرازي. ترتيب محمود خاطر 259 مادة رهب

وجاء في المعجم الوجيز «رهبه رهبا، ورهبة، ورهبا: خافة، أرهب فلانا: خوف وفزعه»[5].

من خلال الوضع اللغوي نجد أن مادة (الرهبة) تدور في اللغة على الخوف والخشية، أما (الإرهاب) فهو الإخافة وإثارة الذعر والرعب حتى لا يقدم هذا الخائف على الهجوم.

وقد استعمل القرآن الكريم هذه المادة على نسق الفصحى سواء في مصدره المجرد في مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: 90]. أي أنهم كانوا في دعائهم راغبين في الثواب خائفين من العقاب، أو في الفعل المزيد بالهمزة التي تفيد الجعل والتصيير، أي الحمل على الخوف كما في قوله تعالى ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال: 60].

ومعنى هذا أن المطلوب من الأمة المسلمة أن تعد العدة وأن تستحوذ على كل أنواع القوة في كل المجالات حتى يرهبها أعداؤها في الإقدام على حربها. فهو إذن إرهاب من إيقاد الحرب مما يؤدي في الحقيقة إلى السلام والأمن فالأمة المسلمة يمنعها دينها من العدوان على الآخرين، وأعداؤها يمتنعون عن حربها لعلمهم بقوتها وشجاعتها.

من خلال ذلك يتضح أن مفهوم الإرهاب في الإسلام يقوم على إخافة العدو، وإثارة الذعر والرعب -وذلك من خلال إعداد القوة الشاملة- حتى لا يقدم هذا العدو على الهجوم، فهو إذن إرهاب من إيقاد نار الحرب مما يؤدي في الحقيقة إلى السلام والأمن.

ثانياً: عند علماء التفسير

ومفهوم الإرهاب في اللغة لا يختلف عن مفهومه عند المفسرين. قال القرطبي في تفسيره لقوله سبحانه: ﴿تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: 60] «يعني

5- المعجم الوجيز. مجمع اللغة العربية مادة رهب ص279 طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم.

تخيفون به عدوكم من اليهود وقريش وكفار العرب»[6].

وقال صاحب التفسير الوسيط مبينا مفهوم الإرهاب: «فهو إلقاء الرعب والرهبة في قلوب أعداء الله الذين هم أعداء العصبة المسلمة في الأرض، الظاهرين منهم الذين يعلمهم المسلمون، من ورائهم ممن لا يعرفهم أو لم يجهروا لهم بالعداوة، والله يعلم سرائرهم وحقائقهم، وهؤلاء ترهبهم قوة الإسلام، ولو لم تمتد بالفعل إليهم والمسلمون مكلفون أن يكونوا أقوياء، وأن يحشدوا ما يستطيعون من أسباب القوة ليكونوا مرهوبين في الأرض، ولتكون كلمة الله هي العليا، وليكون الدين كله الله»[7] وقال الشيخ الصابوني في صفوة التفاسير: «أي تخيفون بتلك القوة الكفار أعداء الله وأعداءكم»[8] من خلال ذلك يتضح أن مفهوم الإرهاب عند المفسرين يتفق تماما مع مفهوم الإرهاب عند اللغويين، وأن الإسلام لا يعرف الاعتداء والعنف.

وقال الشيخ الشعراوى في تفسيره: «فالقصد -إذن- من إعداد هذه القوة هو إرهاب العدو حتى لا يطمع فيكم، لأن مجرد الإعداد لهذه القوة هو أمر يسبب رهبا للعدو، ولهذا تقام العروض العسكرية ليرى الخصم مدى قوة الدولة، وحين تبين لخصمك القوة التي تملكها لا يجترئ عليك، ويتحقق بهذا ما نسميه بلغة العصر التوازن السلمي»[9].

ثالثا: عند علماء الدعوة الإسلامية

قال د. عمارة نجيب في كتابه (فقه الدعوة والإعلام) مبينا مفهوم الإرهاب: «فالإرهاب للأعداء أحد الآثار الإيجابية المترتبة على وجود القوة حتى قبل استعمالها»[10].

وبهذا نستطيع أن نقول: إن مفهوم الإرهاب في الإسلام واضح لا غموض فيه ولا إيهام، وواحد لا اختلاف فيه ولا تضارب، وهو إرهاب الطامعين والغاشمين قبل عدوانهم على المسلمين، وهو إرهاب يدعو إلى السلام، ويحقق الأمن، ويمنع الحرب.

6- الجامع لأحكام القرآن القرطبي ج4 ص 2899.

7- التفسير الوسيط، الشيخ محمد طنطاوي ج6 ص107، مطبعة الشعب القاهرة.

8- صفوة التفاسير الشيخ محمد علي الصابوني ص 511.

9- تفسير الشعراوي ص 4776 الصادرة عن أخبار اليوم.

10- فقه الدعوة والإعلام./د. عمارة نجيب ص 53.

قال الشيخ أحمد مصطفي المراغي في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: 60]. «أي أعدوا لهم المستطاع من القوة الحربية ومن الفرسان المرابطة لترهبوا عدو الله الكافرين به وبما أنزل على رسوله ﷺ وعدوكم الذين يتربصون بكم الدوائر، إذا لا شيء يمنع الحرب إلا الاستعداد للحرب، فالكفار إذا علموا استعداد المسلمين وتأهبهم للجهاد واستكمالهم لجميع الأسلحة والآلات خافوهم»[11] وقال فضيلة الشيخ الشعراوي عند قوله سبحانه: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الأنفال: 61].

«إن الله لم يطالبنا بأن نكون أقوياء لنفتري على غيرنا، فهو لا يريد من إعداد القوة للاعتداء والعدوان، وإنما يريد القوة لمنع الحرب ليسود السلام ويعم الكون لذلك ينهانا سبحانه وتعالى أن يكون استعدادنا للقتال وسيلة للاعتداء على الناس والافتراء عليهم، ولهذا فإن طلب الخصم السلم والسلام صار لزاما علينا أن نسالمهم. فالله سبحانه يطلب منك القوة لترهب الخصوم، لا لتظلمهم بها فتقاتلهم دون سبب»[12].

ومن هنا يتضح لكل ذي عقل وبصيرة أمران:

الأول: إن الإرهاب في الإسلام يرد الظلم قبل حدوثه، ويمنع الحرب قبل وقوعها، ويحقق الأمن، ويدعو إلى السلام.

الثاني: إن الإرهاب في الإسلام لا يعرف الاعتداء والعدوان، ولا يعرف التعذيب والتنكيل، ولا السلب والنهب، ولا الإبادة والتشريد. فكيف يدعي المغرضون والحاقدون أن الإسلام دعا إلى العنف والعدوان، والاعتداء وقتل الأبرياء، كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا.

المطلب الثاني: رفض الإسلام للعنف والاعتداء

ومما يؤكد ذلك أن الإسلام بريء مما يدعيه خصومه، وأنه لا يعرف العنف والاعتداء، ولا يدعو إلى التعصب والعدوان ما يلي:

الإسلام دين الرحمة والتسامح

الإسلام دين الرحمة والتسامح، يدعو إلى العدل والسلام ويصون حرية الإنسان

11- تفسير المراغي ج 10 ص25.

12- الشعراوي عن الآية 61 من سورة الأنفال.

وكرامته، وهذه ليست مجرد شعارات يرفعها الإسلام، وإنما هي حقائق ومبادئ أساسية راسخة قام عليها بنيان الإسلام. فقد أرسل الله تعالى نبيه محمداً ﷺ رحمة للعالمين قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ ﴾ [الأنبياء: 107] ووصف النبي ﷺ رسالته بقوله: « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق »[13] ومنح الإسلام حرية الاختيار حتى في أمور الاعتقاد. قال تعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ﴾ [البقرة: 256] وقال تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ ﴾ [الكهف: 29].

هذا وبالإضافة إلى أن الدعوة إلى الإسلام تقوم على الإقناع بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالحسنى لا على الإكراه والإرغام. قال تعالى: ﴿ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ [النحل: 125]. كما أن الإسلام أمر بالعدل والإحسان، ونهي عن المنكر والبغي والإفساد في الأرض، وهذا مع المسلمين وغيرهم. قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ [المائدة: 8]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: 90].

الإسلام دين الإحسان والأمانة

قال تعالى: ﴿وَأَحۡسِنُوٓاْۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [البقرة: 195]، وقال ﷺ: « إن الله كتب الإحسان على كل شيء »[14]. وبالنسبة للأمانة قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِ ﴾ [النساء: 58].

الإسلام دين العفو والصفح

قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: 133-134]، وقال تعالى: ﴿فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓ ﴾ [البقرة: 109]. وقال تعالى: ﴿فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى: 40]. ودعا الإسلام

13- الأدب المفرد. البخاري ج 1 ص 267. باب حسن الخلق.

14- صحيح مسلم بشرح النووي ج 13 ص 106 الصيد والذبائح. باب لأمر بإحسان الذبح وتحديد الشفرة، وسنن الترمذي ج4 ص23ك الديات، باب ما جاء في النهي عن المثلة

إلى مقابلة السيئة بالحسنة قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: 34].

ولقد فعل الكفار من أهل مكة في النبي ﷺ ما فعلوه من تعذيب وتشريد وإخراج من وطنه، ولما ظهر عليهم ودخل مكة منتصرا، وصاروا في قبضته جمعهم عند الكعبة، فظنوا أنه سينتقم منهم أو سينزل بهم عقابا، أو سيفرض عليهم غرامات مالية بسبب ما فعلوه في المسلمين من التعذيب والتنكيل، ولكنه لم يفعل شيئاً من ذلك، بل قال قولته المشهورة: «ما تظنون أني فاعل بكم؟ قالوا: أخ كريم وابن أخ كريم. قال: «اذهبوا فأنتم الطلقاء»[15].

الإسلام دين التآلف والتعاون

ومما اهتم به الإسلام أنه دعا الناس جميعا إلى التآلف والتعاون رغم الاختلافات التي بينهم. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ [الحجرات: 13].

الإسلام دين لا يعرف التعصب

ومما يؤكد أن الإسلام دين لا يعرف التعصب على الإطلاق، وبالتالي فإنه لا يدعو أتباعه إلى التعصب والعنف. قال ﷺ: «يسروا ولا تعسروا. وبشروا ولا تنفروا»[16].

قال د. محمود زقزوق في كتابه (الإسلام في مواجهة حملات التشكيك): «وإذا كان الإسلام يرفض التعصب فإنه بالتالي يرفض الإرهاب وترويع الآمنين وقتل الآخرين، بل يعتبر الإسلام الاعتداء على فرد واحد كأنه اعتداء على البشرية كلها ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: 23]. من ذلك

15- السيرة النبوية لابن كثير ج 3ص 570.

16- صحيح البخاري مع الفتح ج ض10ص 524 ك الأدب. باب قول النبي: «يسروا ولا تعسروا» وأخرجه الإمام مسلم ج 12 ص40، 42، 41، ك الجهاد والسير باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث وأخرجه الإمام أحمد في مسنده (مسند أنس) ج3 ص 121 ومسند سعيد بن أبي بردة) ج4 ص 417. أخرجه أبو داود الطيالسي في مسند انس ج9 ص280 برقم 2086 ومسند عبد الله بن العباس رقم 2608. وأخرجه الطبراني في أحاديث طاوس عن ابن عباس ج 11 ص 23 والجامع الصغير ج6 ص 461.

يتضح أن إلصاق تهمة التعصب بالإسلام لا تقوم على أساس»[17].

الإسلام وصيانة الأعراض والأموال

ومما جاء به الإسلام أنه صان بتعاليمه الأعراض والكرامات، بل وصل برعاية الحرمات للناس إلى حد التقديس، ففي حجة الوداع خطب النبي ﷺ: «إن أموالكم وأعراضكم ودماءكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا»[18].

من أجل ذلك نهى النبي ﷺ عن كل عمل يؤدي إلى القتل أو القتال ولو كان إشارة بالسلاح. قال ﷺ: «لا يشر أحدكم إلى أخيه بالسلاح فإنه لا يدري لعل الشيطان ينزع في يده فيقع في حفرة من النار»[19] وقال ﷺ: «من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه حتى ينتهي وإن كان أخاه لأبيه وأمه»[20] وقال ﷺ: «لا يحل لمسلم أن يروع مسلما»[21] وليس معنى هذا أن غير المسلم دمه حلال، فإن النفس معصومة الدم حرمها الله وصانها بحكم بشريتها، ما لم يكن غير المسلم محاربا للمسلمين، فعند ذلك قد أحل هو دمه. أما إذا كان معاهداً أو ذميا فإن دمه مصون لا يحل لمسلم الاعتداء عليه، وفي ذلك يقول النبي ﷺ: «من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها يوجد من مسيرة أربعين عاما»[22] وقال ﷺ: «من قتل رجلاً من أهل الذمة لم يجد ريح الجنة»[23].

الإسلام دين التعايش السلمي

ومما يؤكد رفض الإسلام للعنف والاعتداء مبادئ التعايش السلمي التي جاء بها.

17- الإسلام في مواجهة التشكيك. د. محمود حمدي زقزوق ص 67.

18- صحيح مسلم بشرح النووي ج8 ص 182 ك الحج. باب حجة النبي ﷺ سنن ابن ماجة ج2 ص 1024 ك المناسك. باب حجة رسول الله ﷺ سنن ابن داود ج2 ص 191 ك المناسك. باب صفة حجة النبي ﷺ وسنن الترمذي ج4 ص 461 ك الفتن. باب دماؤكم وأموالكم عليكم حرام.

19- صحيح مسلم بشرح النووي ج16 ص 170 البر والصلة. باب فضل إزالة الأذى عن الطريق.

20- المرجع السابق ج 16 ص 170 البر والصلة. باب النهي عن الإشارة بالسلاح غلي مسلم.

21- الترغيب والترهيب. المنذري ج 3 ص 290 ك، الأدب وغيره. باب الترهيب من ترويع المسلم، والطبراني ورواته ثقات.

22- صحيح البخاري ج 6 ص 269 ك الجزية والموادعة. باب إثم من قتل معاهدا بغير جرم وسنن ابن ماجة ج 2 ص 896ك الديات. باب من قتل معاهداً

23- سنن النسائي ج 8 ص256.

قال تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الممتحنة: 8-9].

هذا بالإضافة إلى أن الإسلام ينظر نظرة خاصة لأهل الكتاب من اليهود والنصارى سواء أكانوا في ديار الإسلام أم خارجها، فالقرآن الكريم لا يناديهم إلا بـ (يا أهل الكتاب) و(يا أيها الذين أوتوا الكتاب) ودعا الإسلام المسلمين أن يجادلوا أهل الكتاب بالتي هي أحسن، وأباح مصاهرتهم، والتزوج من نسائهم[24].

قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: 46]. وقال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [المائدة: 5]، ومن هنا فإن ما تروجه وسائل الإعلام العالمية من أن الإسلام دين يحض على العدوان والتطرف والتعصب والقتل والإرهاب افتراء ظالم لا أساس له، فالإسلام على النقيض من ذلك تماما.

قال د. عبد العظيم المطعنى في كتابة (مبادئ التعايش في الإسلام): « إن منهج الدعوة في الإسلام منهج سلمي هو أبعد ما يكون عن العنف والإرهاب والإكراه فالدعاة عليهم البلاغ المبين، والله هو المختص بالحساب، وليس بعد ذلك اعتدال أو رحمة. ومحاولة بعض خصوم الإسلام وقولهم إنه دين إرهابي دموي يضيق بمخالفيه ذرعا، ولا يرى لهم إلا القتل، إنما هي دعوى فارغة، وافتراء شنيع يمليه عليهم الحقد والحسد ثم الشيطان »[25].

الإسلام دين السلام

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾ [البقرة: 208]. وقال تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: 61]. وقال ﷺ: « لا تتمنوا لقاء العدو، واسألوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا، واعلموا أن الجنة تحت

24- مبادئ التعايش السلمي في الإسلام. د.عبد العظيم المطعني ص 10- 11.
25- المصدر نفسه ص 10-11.

ظلال السيوف »[26].

المطلب الثالث: الإسلام شرع الجهاد والمقاومة لا الإرهاب

إذا كان الإسلام الحنيف دين الرحمة والسلام، والعدل والعفو، والسماحة والأمن، والتآلف والتعارف والتعايش السلمي، فإنه في الوقت نفسه شرع المقاومة والقتال والجهاد لمن تسول له نفسه الاعتداء على المسلمين ومقدساتهم وأعراضهم. قال تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا عَلَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: 194].

ومشروعية القتال والمقاومة مبدأ من مبادئ التعايش السلمي العالمي لا كما توهم الخصوم أنه مبدأ عدواني إجرامي، فيه مساس بالحريات الإنسانية ومصادرة لإرادة الإنسان، وهذا ليس دعوى ندعيها، بل هو الحق الأبلج لو كانوا ينصفون. كذلك لم يكن الجهاد في الإسلام لغرض الغزوات على الجماعات والأمم، وإنما لدفع الأذى عن النفس والعرض ورد العدوان عن المقدسات والأوطان قال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ٣٩ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ﴾ [الحج: 39-41]. وقال تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾ [البقرة: 190].

ومما يؤكد أن الجهاد في الإسلام لا علاقة له بالإرهاب قوله ﷺ « اغزوا باسم الله وفي سبيل الله وقاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغدروا، ولا تغلوا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدا »[27] وقوله ﷺ: « انطلقوا باسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله، ولا تقتلوا شيخا

26- صحيح البخاري مع الفتح ج6 ص 156 ك الجهاد. باب لا تمنوا لقاء العدو، ج 13 ص 223 ك التمني. باب كراهية تمني لقاء العدو، ومسلم بشرح النووي ج13 ص 233.

27- سنن أبي داود ج 3 ص 38 الجهاد. باب في دعاء المشركين. وسنن ابن ماجة ج 2 ص 953 ك الجهاد. باب وصية الإمام، وسنن الترمذي ج 4 ص 22 ك الديات. باب ما جاء في النهي عن الممثلة، صحيح مسلم بشرح النووي ج 12 ص 37 ك الجهاد والسير. باب تأمير الإمام الأمراء علي البعوث، وسنن ابن ماجة ج 3 ص 38 ... الخ

فانيا، ولا طفلا، صغيرا ولا امرأة، ولا تغلوا، وضموا غنائمكم، وأصلحوا، وأحسنوا إن الله يحب المحسنين»[28] وكان ﷺ يحث أصحابه على الصدقة وينهاهم عن المثلة[29]. وقد روي أن امرأة وجدت في بعض مغازي رسول الله ﷺ مقتولة فأنكر رسول الله ﷺ قتل النساء والصبيان[30] قال ابن القيم في كتابه (زاد المعاد في هدي خير العباد) «وكان ﷺ إذا بعث سرية يوصيهم بتقوى الله ويقول: سيروا باسم الله وفي سبيل الله وقاتلوا من كفر بالله ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا. وكان ينهى في مغازيه عن النهبة والمثلة وقال من انتهب نهبة فليس منا»[31] وعل الرغم من الإذن بالقتال دفاعا عن النفس، فإن القرآن الكريم يحذر من مجاوزة الحد في ذلك إلى الاعتداء، فالله لا يحب المعتدين، قال تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا عَلَيۡكُمۡ﴾ [البقرة: 194]. إذن: فالقتال كان لرد العدوان والاعتداء، ومنع الظلم وإرهاق الشعوب. قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: 193].

ومن هنا نستطيع أن نقول: إن ما يقوم به الفلسطينيون والمجاهدون في سبيل الله في كل مكان ليس إرهابا كما يدعى الغرب الحاقد ولا علاقة له بالإرهاب، ولكن مقاومة واجبة، وجهاد مشروع، أمر الإسلام به، ودعا إليه، ورغب فيه، حماية للأنفس والكرامات، وصيانة للأعراض والحرمات، وصيانة للأعراض والحرمات، وتأمينا للدعوة، وتحرير الأرض والمقدسات، وإزالة للاعتداء والعدوان. قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا بَصِيرٞ﴾ [الأنفال: 39].

وقال ﷺ: «من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد»[32] ونقول أيضا: إن ما يقوم به بعض المجاهدين الفلسطينيين من عمليات استشهادية ومواقف فدائية نتيجة فقد السلاح

28- سنن أبي داود ج 3 ص 38 ك الجهاد. باب في دعاء المشركين. وسنن ابن ماجة ج 2 ص 953 ك الجهاد. باب وصية الإمام.

29- انظر سنن أبي داود ج 3 ص 53 ك الجهاد. باب في النهي عن الممثلة في الحرب.

30- زاد المعاد في المعاد في هدى خير العباد. ابن القيم ج 2 ص 64 - 65-66.

31- المصدر نفسه ج 2 ص 64 - 65-66.

32- سنن ابن ماجة ج 2 ص 861 ك الحدود، باب من قتل دون ماله فهو شهيد، وسنن الترمذي ج 4 ص 28 -29 ك: الديات، باب: السنة التاسعة هو شهيد.

من أرقى مراتب الجهاد في سبيل الله، ومن يقوم بذلك ويقدم نفسه وروحه يكون في أرقى مراتب الشهداء عند الله سبحانه وتعالى إن شاء الله[33].

وفي كتب السيرة والتاريخ ما يؤكد ذلك ويكون دليلا على أنه شهيد من ذلك ما ورد في مصنف ابن أبي شيبة من حديث أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «الذين يلقون في الصف فلا يلفتون وجوههم حتى يقتلوا، أولئك يتلبطون في الغرف العلى من الجنة، ويضحك إليهم ربك، إن ربك إذا ضحك إلى قوم فلا حساب عليهم»[34] وجاء عند الحافظ ابن عبد البر في ترجمة البراء بن مالك رضي الله عنه «زحف المسلمون إلى المشركين في اليمامة حتى ألجأوهم إلى الحديقة، وفيها عدو الله مسيلمة، فقال البراء: يا معشر المسلمين ألقوا بي عليهم ! فاحتمل، حتى إذا أشرف على الجدار اقتحم فقاتلهم حتى فتح للمسلمين ودخل عليهم المسلمون، ووقع به يومها بضع وثمانون جراحة من بين رمية بسهم، وضربة بسيف، فحمل إلى رحله يداوى»[35].

وبذلك نرى أن ما يقوم به الفلسطينيون من عمليات استشهادية هو من باب الدفاع عن الوطن والمال والعرض ومن يقتل في هذه العمليات فهو في حكم الشهيد

المطلب الرابع: موقف الإسلام من الإرهاب

الإرهاب ظلم من أشد ألوان الظلم، وهو أحد الجرائم الكبيرة التي شنعت نصوص الشرع عليهم، وحذرت من التلبس بها، فقد جاء في الحديث القدسي: «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظلموا»[36] وقال ﷺ: «اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة»[37].

وقد بين العلماء أن كل أنواع الظلم حرام سواء أكان في نفس أم عرض وسواء

33- وقد رأى بعض العلماء أن العمليات الفدائية مباحة من هؤلاء. د. القرضاوي. د. فؤاد مخير انظر جريدة عقيدتي ص 807 (العدد 467، السنة التاسعة 20 شعبان 1422 هـ)

34- المصنف لابن أبي شيبة ج 4 ص 569. وقال المنذري ثقات.

35- الاستيعاب بحاشية الإصابة ج1ص 137-139

36- صحيح البخاري ج 16 ص 132 ك البر والصلة ؤ. باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره، ومسلم بشرح النووي ج 16 ص 132 ك البر والصلة. باب تحريم الظلم.

37- الأدب المفرد. البخاري ج1 ص 413. باب الظلمات، سنن الترمذي ج4 ص 377 ك البر والصلة. باب ما جاء في الظلم. ومسلم بشرح النووي ج 16 ص 134 ك البر والصلة باب تحريم الظلم.

أكان الظلم في حق مؤمن أم كافر أم فاسق.

ولا شك أن محاربة الإرهاب أحد الواجبات التي بينتها شريعة الإسلام على الفرد والجماعة، لأن من الواضح أن الإرهاب هو أحد أنواع المنكر، بل لعلة ليس من المبالغة أن يكون الإرهاب من أشد ألوان المنكر وأشنعها وأشدها تأثيرا على الفرد والجماعة والدولة، فلا نتصور أمة تعيش مؤدية واجباتها وتعمل وتنتج وتمارس حياتها الحضارية وهي واقعة تحت وطأة الخوف والفزع منتظرة جرائم القتل وسفك الدماء وإتلاف الأموال وانتهاك الأعراض في كل وقت، وقد أمرنا الإسلام بمقاومة المنكر، ومواجهة المعتدين، ورد عدوانهم.

قال د. عبد العظيم المطعنى في كتابه (مبادئ التعايش السلمي): « إن الإسلام وضع نظاما رادعا لمكافحة الجريمة، ومحاصرة المجرمين، باعتبار ذلك مبدأ من مبادئ التعايش السلمي للإنسانية »(38).

وينظر الإسلام إلى بعض الجرائم نظرة خاصة، وهي الجرائم التي تمس الأخلاق والأمن العام، وتقوض كيان المجتمع بآثارها الضارة، وانعكاساتها المدمرة، ويضع لها عقوبات مناسبة نص عليها نصا، ولم يتركها لاجتهادات الناس خشية التجاوز أو القصور في تقديرها. وقد أحسن الفقه الإسلامي صنعا، حين أطلق على مجال العقوبات المترتبة علي هذه الجرائم (الضرورات الخمس) وهي النفس، والمال، والعقل، والعرض، والدين. فالاعتداء على النفس إن كان بالقتل العمد بغير حق، عقوبته قتل القائل قصاصا إلا أن يعفو أولياء الدم، وهم ورثة القتيل.

وإن كان على عضو من الجسم كخلع عين، أو بتر إصبع فإن عين الجاني تخلع قصاصا، وتقطع إصبعه. وإن كانت الجناية خطأ وجبت الدية في القتل، والتعويض في الأطراف. والاعتداء على المال وأخذه من [حرزة] إن بلغ المسروق حدا معينا عقوبته قطع يد السارق.

والاعتداء على العقل بإزالته بالمسكرات عقوبته الجلد ثمانين جلده، والاعتداء على العرض بفعل الفاحشة عقوبته الرجم حتى الموت إن كان الفاعلان محصنين، والجلد إن كانا غير محصنين، وكذلك من يطعن في أعراض الناس والاعتداء على الدين

38- مبادئ التعايش السلمي، د. عبد العظيم المطعني ص 90 - 91

بالارتداد عقوبته القتل إذا لم يتب المرتد.

ويضاف إلى هذه العقوبات عقوبة الحرابة للعصابات التي تقطع الطريق، وتعتدي على الأنفس والأموال والأعراض، وتثير الذعر بين الناس. قال تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: 179]. وقال تعالى: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [المائدة: 38].

وقال تعالى: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النور: 2]، وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [النور: 4]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [المائدة: 33].

ويهدف الإسلام من إنزال هذه العقوبات بمرتكبيها إلى أمرين:

الأول: زجر المجرم وتأديبه، وتحذير غيره من الوقوع فيما وقع فيها.

الثاني: حماية المجتمع من هذه الجرائم المدمرة للأخلاق والسلوك الباعثة على القلق والاضطراب.

المطلب الخامس: شهادة التاريخ على براءة الإسلام من العنف والإرهاب

ومما يؤكد براءة الإسلام من العنف والعدوان، والإكراه والاعتداء، ويشهد له بالسماحة والعدالة والإحسان والرحمة، وحماية الأعراض والأموال والكرامات، وأنه لا يفرق في ذلك بين المسلمين وغيرهم، شهادة التاريخ، فقد شهد برفق المسلمين بغيرهم في دعوتهم، وفتوحاتهم، ومعاملاتهم.

فتح مكة

لا يخفى على أحد أن أهل مكة آذوا رسول الله ﷺ بكل أذى، وأساءوا إليه بكل وسيلة، وعارضوه بكل أسلوب، حتى هاجر من مكة إلى المدينة، وقاتلوه ومنعوه من دخول مكة حتى فتحها سنة ثمان من الهجرة وطاف بالبيت، وكان أهل مكة يخشون رسول الله ﷺ ولكنه شملهم برحمته، وعمهم برأفته، ولقنهم درسا في العفو والصفح

والإحسان.

فقد روى أن سعد بن عبادة قال في مكة: اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الحرمة -يعني الكعبة- فقال رسول الله ﷺ: «بل اليوم يوم تعظم فيه الكعبة» وأمر بالراية -راية الأنصار- أن تؤخذ من سعد بن عبادة تأديباً له، ويقال: إنها دفعت إلى ابنه قيس بن سعد، وقيل إلى الزبير بن العوام[39] وروي أن رسول الله ﷺ قام على باب الكعبة وخطب خطبة جامعة وكان مما جاء فيها قوله: «يا معشر قريش، ما ترون أني فاعل فيكم. قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم. قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء»[40] إن هذا الموقف أكبر شاهد، وأعظم دليل، على أن الإسلام دين يدعو إلى العفو والإحسان إلى من ظلم وأساء، ولا يعرف الاعتداء والعدوان.

وصايا الصديق ﷺ في حرب الروم

سير أبو بكر ﷺ في آخر 12هـ/633م عدة جيوش إلى بلاد الشام وأسند قيادة كل منها إلى أحد القادة العرب الأكفاء، وحدد لكل جيش جهة يذهب إليها ووصاهم قائلا: «أوصيكم بعشر فاحفظوها عني: لا تخونوا، ولا تغلوا ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلا صغيرا، ولا شيخا كبيرا، ولا امرأة، ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا إلا لمأكله وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له ... اندفعوا باسم الله»[41].

رفق عمر بن الخطاب ﷺ في مدينة القدس

قال غوستان لوبون في كتابه (حضارة العرب): «ويثبت لنا سلوك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في مدينة القدس مقدار الرفق العظيم الذي كان يعامل به العرب الفاتحون الأمم المغلوبة، والذي ناقضه الصليبيون في القدس بعد بضعة قرون مناقضة تامة، فلم يرد عمر أن يدخل مدينة القدس معه غير عدد قليل من أصحابه، وطلب من البطرك صفرونيوس أن يرافقه في زيارته لجميع الأماكن المقدسة، وأعطى الأهلين الأمان، وقطع لهم عهدا باحترام كنائسهم وأموالهم وبتحريم العبادة على المسلمين في

39- السيرة النبوية لابن كثير ج 3 ص 559

40- المصدر نفسه ج 3 ص 57

41- قصة الحضارة. ول يورانت المجلد السابع ج 13 ص 73.

بيعهم، ولم يفرض سوى جزية زهيدة عليهم »[42].

رفق عمرو بن العاص بأهل مصر

قال صاحب كتاب حضارة العرب: « ولم يكن سلوك عمرو بن العاص بمصر أقل رفقا من ذلك -أي من رفق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في مدينة القدس- فقد عرض على المصريين حرية دينية تامة، وعدلاً مطلقا، واحتراما للأموال، وجزية سنوية ثابتة لا تزيد على خمسة عشر فرنكا عن كل رأس بدلاً من ضرائب قياصرة الروم الباهظة، فرضي المصريون طائعين شاكرين بهذه الشروط.

وسار عمرو بن العاص في مصر على غرار عمر بن الخطاب في القدس، فشمل الديانة النصرانية بحمايته، وسمح للأقباط بأن يستمروا في اختيار بطرك كما في الماضي، ومن تسامحه أن أذن للنصارى في إنشاء الكنائس في المدينة الإسلامية التي أسسها »[43].

تسامح المسلمين في إسبانيا

أعد موسى بن نصير -والي شمال أفريقيا- في العصر الأموي جيشا يتكون من اثني عشر ألفا من المشاة والفرسان لفتح أسبانيا وأسند قيادته إلى مولاه طارق بن زياد ... ودارت المعركة مع الجيش الأسباني في رمضان سنة 92 هـ/711م وأحرز المسلمون على أعدائهم انتصاراً رائعاً، وأعطوهم درسا في سماحة الإسلام، ورفقه بخصومه.

قال صاحب كتاب (حضارة العرب): « وأحسن العرب سياسة سكان إسبانية كما أحسنوا سياسة أهل سورية ومصر فقد تركوا لهم أموالهم وكنائسهم، وقوانينهم، وحق المقاضاة إلى قضاة منهم، ولم يفرضوا سوى جزية سنوية تبلغ دينار (15 فرنكا) عن كل شريف، ونصف دينار عن كل مملوك، فرضي سكان أسبانية بذلك طائعين ... وقد علم العرب الشعوب النصرانية الإسبانية التسامح الذي هو أثمن صفات الإنسان، وبلغ حلم عرب أسبانية نحو الأهلين المغلوبين مبلغا كانوا يسمحون به لأساقفتهم أن يعتقدوا مؤتمراتهم الدينية كمؤتمر إشبيلية النصراني الذي عقد في سنة 782م ومؤتمر قرطبة النصراني الذي عقد في سنة 852 م وتعد كنائس النصارى الكثيرة التي بنوها أيام الحكم

42- حضارة العرب غوستاف لوبون ص 135 - 151 وقصة الحضارة. ول يورانت المجلد السابع ج 13، ص76.

43- حضارة العرب ص 135 - 126

العربي من الأدلة على احترام العرب لمعتقدات الأمم التي خضعت لسلطانهم»[44].

تسامح المسلمين في صقلية

قال صاحب كتاب (حضارة العرب): «وترك لنصارى صقلية كل ما لا يمس النظام العام، فكان للنصارى، كما في زمن الروم قوانينهم المدنية والدينية وحكام منهم للفصل في خصوماتهم ... وسمح العرب في أيام سلطانهم للنصارى بالمحافظة على قوانينهم وعاداتهم الدينية وقد روي الدومينيكي كواردين وكان رئيسا لدير القديسة كاترين في (بلرم) أن القساوسة كانوا أحرارا في الخروج لابسين حللهم الدينية لينالوا المرضى القربان الأقدس.

وقد روى الأب مور كولي أنه كان ينصب في الحفلات العامة (بمسينة) رايتان: حداهما سلامية وعليها صورة برج أسود في حقل أخضر، والأخرى نصرانية وعليها صورة صليب مذهب في حقل أحمر.

ولم يمس العرب الكنائس القائمة في صقلية حين فتحهم لها، وإن لم يأذنوا لهم في بناء كنائس جديدة فيها كما كانوا يأذنون لنصارى أسبانية»[45].

هذه بعض النماذج والشواهد التي تؤكد أن الإسلام دين سماحة ورفق، وأنه شمل المسلمين والرفق بهم، وحذر من الاعتداء والعدوان عليهم. وهذه النماذج تؤكد أن المسلمين الأوائل قد تحلوا بسماحة الإسلام في كل أحوالهم حتى لفتوا الأنظار إلى دينهم، ورغبوا الناس في عقيدتهم، فدخل الناس في دين الله أفواجا. فلو كان الإسلام ديناً يدعو إلى العنف والإبادة، والعدوان والاعتداء، ما ترك الناس في سبيله عقائدهم، وخاصموا أهليهم، وهاجروا من أوطانهم، وجاهدوا في سبيل نصرته بأموالهم وأنفسهم.

فكيف بعد هذه الشهادة التاريخية بسماحة الإسلام والمسلمين يدعى الغرب بأن الإسلام إرهاب، ويدعو أتباعه إلى العنف والعدوان. وإذا كان أعداء الإسلام من قبل اتهموا الإسلام بأنه انتشر بالقوة والسيف، فإنهم في العصر الحاضر اتهموه بالإرهاب والعدوان، وألصقوا بأتباعه الافتراءات.

ولا شك أن ادعاء الغرب وافتراءه على الإسلام والمسلمين ادعاء باطل، وافتراء

44- حضارة العرب.

45- المصدر نفسه.

بين، لا سند له ولا دليل، ولا ينطق به منصف، ولا يجهر بـه عاقـل، ولا يدعيـه إلا حاقـد أو نـاقم، فالإسـلام جـاء والـدنيا علـى بركـان مـن العنـف والإرهـاب، وتمـوج بالعـدوان والاعتداء، وتقوم على الإبادة والتشريد. فلما أشرق نور الإسلام على النـاس بـدل خـوفهم أمنا، وفـزعهم سـكينة، وعـنفهم رحمـة، وقسـوتهم سماحـة ولطفـا، وبغضـهم حبـا ووداً، وشرهم خيرا، وأنانيتهم إيثارا، وإساءتهم إحسانا ... الخ

ويثبت بطلان هذه الشبهة بما يلي:

أولا: إن الإسلام عقيدة وشريعة وأخلاقا برفض العنف والعدوان.

ثانيا: شهادة التاريخ، فالدارس للتاريخ والفتوحات الإسلامية، والـبلاد الـتي دخلـها الإسـلام يجد أن الإسلام شمل الناس جميعا بسماحته، وعم الجميع بهديه ورحمته وعدله وأمنه.

ثالثا: شهادات المنصفين. فكثير مـن غـير المسـلمين شـهدوا بسـماحة الإسـلام، واعترفـوا بعدله، وأقروا بأمنه وسلمه وخاصة في حروبه وفتوحاته.

المبحث الثاني: احتضان الغرب للإرهاب

المطلب الأول: مفهوم الإرهاب في الغرب

الإرهاب الذي يعرفه الغرب ويعتنقه ويؤمن به، ويلتزمه ويتعامـل بـه، يقـوم علـى العنف والإبادة، والقتل والتشريد، والاعتداء على الأنفس والأعراض، والأمـوال، والأوطـان. يشهد على هذا المفهوم مصادره، وتاريخه، وواقعـه والعلمـاء –مـن المسـلمين وغيرهـم– عندما عرفوا الإرهاب في كتبهم قصدوا هذا النوع من الإرهاب الـذي عانـت منـه البشـرية –ولا زالت تعاني– ودمر الإنسانية، اجتماعيا، واقتصاديا، وسياسيا، ودينيا.

جاء في المعجم الوجيز: الإرهابيون: وصف يطلق على مـن يسـلك سـبل العنـف والإرهاب لتحقيق أهدافهم السياسية[46]. وعرفه الشيخ جاد الحق على جـاد الحـق بقولـه: إرهابي: وصف يطلق على من يسلك سبل العنف والإرهاب لتحقيق أغراضه[47]. وعرفـه حشمت درويش بقوله: الإرهاب استخدام غير مشروع لأعمال العنف أو التهديـد بـالعنف بواسطة فرد أو مجموعة أو حتى دولة ضد فرد أو مجموعـة أو دولـة لإفشـاء حالـة مـن

46– المعجم الوجيز ص 279.

47– التطرف الديني وأبعاده أمنيا ... وسياسيا واجتماعيا. الشيخ جاد الحق علي 49.

الرعب والذعر ينتج عنه تعرض الأرواح والحريات للخطر[48]. وعرفه إريك موريس والآن هو بقوله: الإرهاب: هو التهديد باستعمال عنف غير عادي لتحقيق غايات سياسية على أن أمثال هذه الأفعال الإرهابية تعد رمزية أكثر منها وسيلة، وتتخذ بقصد إحداث تأثير سيكولوجي أكثر منه مادي[49]. وعرف قاموس أكسفورد كلمة الإرهاب بأنها: استخدام العنف والتخويف بصفة خاصة لتحقيق أغراض سياسية[50]. وعرف قاموس روبير الإرهاب بأنها الاستعمال المنظم لوسائل استثنائية للعنف من أجل تحقيق هدف سياسي مثل الاستيلاء أو المحافظة أو ممارسة السلطة[51]. وعرفه د. محمد رأفت عثمان بقوله: ترويع الآمنين وإفزاعهم بجعلهم تحت خطر التعدي عليهم بإتلاف نفوسهم أو الاستيلاء على أموالهم أو إتلافها أو انتهاك أعراضهم[52].

من خلال هذه التعريفات نجد أن مفهوم الإرهاب في الغرب يقوم على العنف والإبادة، والترويع والتشريد، وأنه يشمل الأنفس، والأعراض، والأموال، من أجل تحقيق أهداف سياسية، واقتصادية، ودينية، واجتماعية.

وما نقلناه من تعريفات للإرهاب عن علماء عرب أو مسلمين هو عبارة عن ما نقلوه من تعريفات للإرهاب في الغرب، ولذلك توافقت كلماتهم من الإرهاب لتعريف إريك موريس وغيره من علماء وغربيين.

المطلب الثاني: أهداف الغرب من الإرهاب

إذا كان غرض الإرهاب في الإسلام منع الحروب، ورد العدوان، ونشر السلام فإن الغرض من الإرهاب في الغرب القائم على العنف والقتل والاعتداء والإبادة، يتمثل في الأهداف التالية:

رد المسلمين عن دينهم

إن الغرض الأول من الإرهاب الغربي على العالم الإسلامي، وعلى الأقليات

48- الإرهاب الدولي. حشمت درويش ص 17.

49- الإرهاب التهديد والرد عليه ... إريك موريس والآن هو ص 39.

50- الإرهاب والعقاب. د. محمود صالح العادلي ص 28.

51- المصدر نفسه ص 28.

52- صوت الأزهر ص8 (العدد 111) الجمعة 23 شعبان 1422 هـ السنة الثالثة.

الإسلامية، هو رد المسلمين عن دينهم، وإخراجهم من إسلامهم قال تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: 109]. وقال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ [البقرة: 217]. وقال تعالى: ﴿ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ [آل عمران: 69].

وقد سلك الغرب في سبيل تحقيق هذا الأمر طرقا متنوعة، وأنفقوا أموالا كثيرة، فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون، وقد استطاع الغرب الصليبي الحاقد عن طريق الإرهاب والعنف إخراج أعداد كثيرة من المسلمين من دينهم وتنصيرهم وتغيير أسمائهم، ولا يخفى على أحد ما حدث للأقليات الإسلامية -ومازال يحدث- في كثير من البلاد منها البوسنة والهرسك، والشيشان، وبورما، وكشمير وكوسوفو، وغير ذلك من البلاد.

تشويه الإسلام

ملأ الغرب الصليبي العالم الإسلامي كله إرهابا وعنفا، وإبادة وتشريدا، ولم يقف عند هذا الحد ولكنه افترى وادعى أن الإسلام دين إرهاب، وأن الجهاد المشروع والمقاومة المشروعة عن المقدسات والأعراض والأموال إرهاب، وأن المسلمين إرهابيون، كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا.

ولا يخفى على أحد أن غاية الغرب من هذا الادعاء تشويه الإسلام، والتشويش على دعاته، والتشكيك في عقيدته قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [التوبة: 32]، وقال تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الصف: 8].

القضاء على العالم الإسلامي

المراد بالقضاء على العالم الإسلامي القضاء على وحدته، ومقدساته، ومصادره، ولغته، وأخلاقه، حتى تسهل السيطرة عليه، واستعمار أرضه، واستعباد أهله، ونهب ثرواته، وإجبار المسلمين على قبول كل ما هو غربي، والإيمان بكل ما هو أوربي، من عقائد، وأفكار، ونظريات، ومناهج، وشعارات ... الخ

ولا يخفى على أحد أن الإرهاب الغربي امتداد للتبشير والاستشراق ويقوم مقامها بالقهر والقوة والعنف.

المطلب الثالث: الإرهاب في الغرب عقيدة وشريعة

إذا كانت مصادر الإسلام وتعاليمه تحرم الإرهاب والعنف، والاعتداء والعدوان، فإن مصادر الغرب المسيحي الدينية والشرعية تبيح الإرهاب والعدوان، والقتل والإحراق والتعذيب والتنكيل، وذلك راجع إلى إيمان الكنيسة والمسيحيين بالمصادر اليهودية المتمثلة في التوراة والتلمود. قال شارل جينيبير في كتابه (المسيحية نشأتها وتطورها): «وعلينا ألا ننسى قبل كل شيء المسحية الأولى كانت في جوهرها ديانة شرقية، كانت تركيباً ساهمت فيه اليهودية بالأسس.

فالمسحية إذن ديانة أنشئت -على أساس يهودي- من عناصر متباينة كثيراً، وإن جمع بين أشتاتها على حد سواء الأصل الشرقي»[53]. ومصادر اليهود المتمثلة في التوراة والتلمود تدعو إلى القتل والاعتداء. قال د. علي عبد الواحد وافي في كتابه (الإسفار المقدسة): «فأسفار تلمودهم تحثهم على ذبح الآدميين من غير بني إسرائيل وتقديمهم قرباناً لإلههم، ومزج دمائهم بعجين الفطائر المقدسة التي يتناولونها في أعيادهم وأفراحهم الدينية، وبخاصة عيد الفصح، وعيد استير، ومراسم ختان الأطفال، واستخدام هذه الدماء في طقوس سحرهم وشعوذتهم، وتزعم هذه الأسفار أن ذلك من أفضل ما يتقرب به اليهودي إلى ربه وما تقربه عين إلاههم»[54].

ومن ذلك «اقتل الصالح من غير اليهود، ومحرم على اليهودي أن ينجي أحداً من الأجانب»[55]. «مباح قتل غير اليهودي - القتل أمر واجب عند التمكن من إجرائه - النفاق الممكن استعماله - القواعد المنصوص عليها في هذا الفصل تشمل النصارى وباقي الأمم - حوادث تاريخية مذكورة في كتب اليهود»[56].

وإن دل هذا فإنما يدل على التفرقة العنصرية التي يقوم عليها التشريع اليهودي، حيث إنهم -كما يزعمون- شعب الله المختار، وأنهم أبناء الله وأحباؤه، وأنه لا يسمح بعبادته ولا يتقبلها إلا لليهود، وغيرهم (جوييم) أي عباد أوثان أو ثينون مهما يكن الإله الذي يعبودنه.

53- المسيحية نشأتها وتطويرها. شارل جينيبير ص 246 - 258

54- الأسفار المقدسة. د. علي عبد الواحد وافي ص 34

55- خروج 1: 11-12، وتكوين 34.

56- الكنز المرصود في قواعد التلمود. ترجمة يوسف نصر الله ص 90.

« أنهم –اليهود– نفوسهم مخلوقة من نفس الله، وأن عنصرهم من عنصره كما يعتقدون أن الله منحهم الصورة البشرية أصلاً، تكريماً لهم، علي حين أنه خلق غيرهم (الجوييم) من طينة شيطانية أو حيوانية نجسة، ولم يخلق (الجوييم) إلا لخدمة اليهود ... ومن هنا لا يمكن التفاهم بين طائفة السادة المختارين وطائفة العبيد المحتقرين. وإن كانوا بشرا في الشكل، إلا أن عنصرهم الشيطاني أو الحيواني لا يمكن إلا أن يكون نجساً »(57).

ولذلك اعتبروا أن السرقة من غير اليهودي لا تعتبر سرقة، بل استرداد لمال اليهودي الذي يبيحه الدين اليهودي –كما يزعمون– وأباحوا الزنا بالأم والأخت، وشهادة الزور وخاصة مع باقي الشعوب، واستنزاف دم الآدميين كما ذكرنا من قبل.

ومن هنا نقول: أليست التفرقة العنصرية أكبر دليل على الإرهاب الغربي؟ التاريخ خير شاهد على ذلك، والأحداث الدامية الآن في أنحاء المعمورة أشد وأنكى.

وراحت الكنائس تدعو إلى العنف، وتستعمل القوة، وتتحلى بالتعصب. كل ذلك باسم الرب. والناظر في تاريخ المسيحية يجد أن المسيحية بعد تحريفها وتبديلها على يد بولس اعتبرت المسيحيين الأصليين متمردين، وأوقعت بهم ألواناً من العنت والاضطهاد، من ذلك أن مجمع نيقية قرر إدانة أريوس –لأنه عارض القول بألوهية المسيح– وإحراق كتاباته، وتحريم اقتنائها، وخلع أنصاره من وظائفهم ونفيهم، والحكم بإعدام كل من أخفى شيئاً من كتابات أريوس وأتباعه.

وفي عهد تيودسيوس (395م) ظهرت لأول مرة (محكمة التفتيش). وكانت مركزاً بشعاً للاضطهاد والتعذيب، وكان أعضاؤها من الرهبان، وكانت وظيفتهم اكتشاف المخالفين في العقيدة، ولهم سلطان كبير، وتاريخ محكمة التفتيش هو تاريخ الاضطهاد الديني في أقسى صوره، وقتل حرية الفكر بأبشع أداة، وقد تعرض للشنق والحرق والإعدام جماعات كثيرة لأنهم في نظر الكنيسة هراطقة، وكثيراً ما كانت الكنيسة تلجأ للإعدام البطيء مبالغة في التنكيل، وكان الإعدام يسبق بصور بشعة من التعذيب، كالكي بالنار، والضرب، لعل المتهم يعترف بجرمه، فإن لم يعترف قتل.

57– راجع : الخطر اليهودي، برتوكلات حكماء صهيون ص 71. ترجمة محمد خليفة التونسي، مكتبة دار التراث ط أولى، القاهرة وراجع : أضواء علي اليهودية من خلال مصادرها. د. محمد أحمد دياب 102 ط أولى، 1406 هـ 1985 ف دار المنار للنشر والتوزيع، القاهرة.

أما الجماعات التي أعدمت فأكثر من أن تحصى، ففي أسبانيا قدمت محكمة التفتيش للنار أكثر من واحد وثلاثين ألف نسمة، وحكمت على أكثر من مائتي ألف بعقوبات أخرى تلي الإعدام.

ولما ظهر البروتستانت اتجهت الكنيسة لهم بالاضطهاد العنيف وكثرت المذابح، ومن أهمها مذبحة باريس في 24 أغسطس سنة 1572م والتي سطا فيها الكاثوليك على ضيوفهم من البروتستانت وقتلوا خيانة وهم نيام، فلما أصبحت باريس شوارعها تجري بدماء هؤلاء الضحايا، وانهالت التهاني على تشارلس التاسع من البابا ومن ملوك الكاثوليك وعظمائهم على هذا العمل الدنيء.

والعجيب أن البروتستانت لما قويت شوكتهم مثلوا نفس دور القسوة مع الكاثوليك ولم يكونوا أقل وحشية في معاملة خصومهم من أعدائهم السابقين.

وهكذا دون تاريخ المسيحية: بحاراً من الدماء، وأكداساً من رماد الذين أحرقوا، يتم، ودموع، وأنين، ووحشية[58].

ولم يسلم الموتى من هذا الإرهاب على زعم أنهم حال حياتهم اقترفوا معصية الله فكان فتح المقابر، وإخراج رفات الموتى والتمثيل بها أو حرقها أمراً مشروعاً وانتقلت العدوى إلى رجال الدين أنفسهم فكفر بعضهم بعضاً حتى الأموات منهم مثلوا برفاتهم، من ذلك –على سبيل المثال– أن البابا استيفان الرابع والبابا سر جيوس الثالث، أعلنا هرطقة البابا السابق فورموزوس، وفتحا قبره وأخرجا رفاته وأشعلا فيها النار[59].

من خلال ذلك يتضح أن الإرهاب ليس أمراً غريباً على الغرب، ولا طارئاً عليه، ولكنه أمر مشروع، دعت إليه شرائعه، وأباحته مصادره، وقامت به كنائسه وأشرف على تنفيذه الرهبان، بل هو مما يتقرب به ويجب الإيمان به.

المطلب الرابع: المنظمات الإرهابية في العالم الغربي

لما كان الإرهاب في الغرب ديناً وعقيدة، وسلوكاً مشروعاً، وعملاً مباحاً، أنشئت له منظمات، وأقيمت له مؤسسات، ورصدت له مليارات، وأشرف عليه العظماء، وعقدت

58– المسيحية. د. أحمد شلبي ص 73– 74.

59– الأهرام جمعة 2001/10/12م بقلم حليم فريد تادرس ص10.

لتطويره اجتماعات ولقاءات ومؤتمرات. ولا تخلو دولة غربية أو أوربية من منظمات معترف بها، ومصرح لها، تقوم برسالتها، وتؤدي واجبها، ومن أخطر تلك المنظمات:

الألوية الحمراء

هي منظمة تمارس العنف في إيطاليا وتمتلك استراتيجية منظمة للغاية وتقوم باختيار أهدافها من بين السياسيين ورجال الأعمال، وتجدر الإشارة إلى ما كشف (ألفريدو بوانافيتا) عضو الألوية الحمراء السابق عن الدور الذي حاولت أن تلعبه إسرائيل لمساعدة هذه المنظمة، فقد عرض عملاء إسرائيل السريون في عام 73 على جناح ميلانو من الألوية الحمراء مدهم بالسلاح مقابل إثارة حالة من عدم الاستقرار في إيطاليا، والهدف من هذا أن تعتمد الولايات المتحدة اعتماداً كلياً على إسرائيل للدفاع عن حوض البحر المتوسط(60).

منظمة الجيش الأحمر الياباني

هي واحدة من أشد المنظمات السياسية اليسارية المعتمدة في اليابان، وهي تعادي التحالف والتبعية للولايات المتحدة، وترفض النظام الإمبراطوري الياباني، وهي وليدة التناقضات التي يعيشها المجتمع الياباني منذ الحرب العالمية الثانية.

ومن بين التناقضات:

- التناقض بين كون اليابان عملاقاً اقتصادياً وقزماً سياسياً في آن واحد.
- التناقض بين استمرار وجود القطاع الزراعي والتقدم التكنولوجي الهائل.
- التناقض بين التمسك بالتراث والقيم والمعتقدات الآسيوية القديمة والإيمان بقيم الغرب المستحدثة.
- التناقض في الشخصية اليابانية نفسها، فالياباني ظاهره مهذب للغاية وباطنه عنيف للغاية(61).

منظمة العمل المباشر (فرنسا)

تأسست هذه المنظمة عام 1979 م وهي تضم عناصر متعددة منها أتباع فكر (ماوتسي تونج) بالإضافة إلى دعاة الاستقلال الذاتي في (كورسيكا)، وهذه المنظمة

60- الإرهاب الدولي. حشمت درويش ص 33

61- المصدر نفسه ص 33- 34.

ينتمي فكرها إلى اليسار المتطرف، وتقيم علاقات ودية مع جماعات إرهابية أجنبية ورغم عدم إهمال هذه المنظمة نضالها التقليدي في مجال مشكلة الإسكان والبطالة إلا أنها تتجه نحو ما أسمته بالنشاط الدولي، فلها عمليات ضد إسرائيل للرد على غزوها للبنان وأيضاً لها عمليات معادية للأمريكيين[62].

منظمة بارد ما ينهوف (ألمانيا الغربية)

تعتبر هذه المنظمة من أخطر المنظمات الإرهابية، ويعود تاريخ إنشائها إلى عام 1968م، وهي تتضمن أكثر من 1300 عضوا، ويساعدها 6 آلاف شخص، ويتعاطف معها 15 ألفاً على الأقل. واحتجاجاً منها على تواجد الأمريكيين في ألمانيا في إطار حلف الأطلنطي قامت المنظمة بعشرات من عمليات الاعتداء على القوات الأمريكية[63].

منظمة كوكلوكس كلان

هي منظمة إرهابية أمريكية عرفت بعدائها الشديد للسود والزنوج بالولايات المتحدة الأمريكية، وقد طرأت على تلك المنظمة عدة تطورات خطيرة على فكرها والعناصر التي اعتنقت هذا الفكر أسلوباً في تنفيذ عملياتها ضد السود. فتحولت هذه المنظمة إلى منظمة شبه عسكرية، وقد ازدادت خطورتها أيضاً باكتشاف علاقة وتعاون بينها وبين بعض المنظمات الإرهابية خارج الولايات المتحدة الأمريكية، وأيضاً اتضح أن تلك المنظمة تعمل بتنسيق وتعاون كاملين مع الجماعات النازية. وقد تزايد عدد أعضاء تلك المنظمة، فبعد أن كان يصل تعدادها إلى 9500 عضو وصلت إلى 11400 عضوا[64].

من خلال ذلك يتضح أن الغرب يرعى الإرهاب، وينمي العدوان، ويعترف بالمنظمات الإرهابية، ويقر العمليات العدوانية. ولا يخفى على أحد ما قامت به هذه المنظمات من عمليات إرهابية في داخل بلادها وخارجها، وما ترتب على إرهابها من أضرار وآثار.

المطلب الخامس: أسباب الإرهاب الغربي للعالم الإسلامي

إذا كان الغرب انتشر كالذئاب المسعورة في كل مكان يقتل المسلمين، ويسفك

62- الإرهاب الدولي. حشمت درويش ص 34

63- المصدر نفسه ص34

64- المصدر نفسه ص 36

دماءهم، وينتهك أعراضهم، وينهب أموالهم، ويستعمر أوطانهم، فإن ذلك له أسباب منها:

الخوف من الإسلام في الغرب

الإسلام دين يدعو إلى العدل، والمساواة، والعلم، والتقديم، والجهاد، والعزة، والقوة، والحرية، والوحدة ... ويهدف إلى إعداد أمة إسلامية قوية قادرة على حماية دينها، والدفاع عن مقدساتها، وصيانة أعراضها، وأموالها، وأوطانها.

وفي الوقت نفسه يحارب الإسلام الظلم، والجهل، والعدوان، والشقاق، والتخلف، وقد أيقن الغرب عن طريق التجارب أن المسلمين بإسلامهم قوة لا تقهر، وعزة لا تذل، وأن الإسلام هو سر قوة المسلمين، وتقدمهم، وتماسكهم، وبذل أروحهم ... الخ.

هذا بالإضافة إلى أن الغرب يرى أن الإسلام يظهر وينتشر في كل يوم، وأن المسلمين يزيدون ولا يتعلون، ويقوون ولا يضعفون، ويجاهدون ولا يخافون وقد تصور الغرب أن الإسلام عدو، لأنه يحول بينه وبين مطامعه.

«وانتشرت في الإعلام الغربي فكرة الخوف من الإسلام أو ما يطلق عليه (إسلاموفوبيا) ولم يستطع كبار المسئولين في الغرب أن يخفوا هذا التصور، فورد ذلك على لسان بعض الرؤساء في الغرب. وبدأ الحديث في الغرب عن الأصولية الإسلامية والإرهاب الإسلامي، والخطر الذي يتهدد الحضارة الغربية من هذا الشر المدمر والذي هو الإسلام في زعمهم، واختلطت الأوراق، وتاهت الحقائق وسط التدفق الإعلامي الغربي في هذا التيار الجارف»(65).

وقد دفع هذا التصور -خوف الغرب من الإسلام- الغرب إلى الانتقام من المسلمين، وإرهابهم، وإبادتهم، والتنكيل بهم، وتشريدهم حتى لا تقوم لهم قائمة، فلا يجاهدوا استعماراً، ولا يقاموا عدواناً، ولا يردوا اعتداء.

كذلك دفع هذا التصور الغرب الحاقد إلى التفنن في إرهاب المسلمين وتدميرهم اقتصادياً، وعسكرياً، واجتماعياً وإضعافهم مادياً ومعنوياً، وضرب وحدتهم وتعاونهم. وقد استعان الغرب الصليبي في إرهاب المسلمين بالإرهاب الصهيوني الذي يؤمن بالإبادة والوحشية، ويتقرب بالتعذيب والتنكيل.

65- مفاتيح الحضارة وتحديات العصر. د. محمود زقزوق ص 55، 56

صدام الحضارات

من أسباب الإرهاب الغربي للعالم الإسلامي ادعاء صدام أو صراع الحضارات، فقد روج الغرب لنظرية صدام الحضارات، وأن هذا الصدام أمر حتمي، وبطبيعة الحال يوضع في الحسبان في هذا التفكير بالدرجة الأولى صراع الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية، ويستعيد البعض ذكريات الماضي القريب والبعيد لهذا الصراع، والهدف في النهاية هو ضرورة هزيمة الحضارة الإسلامية حتى تتمكن الحضارة الغربية بأن تكون لها اليد الطولي والسيطرة على العالم كله، وفكرة الصراع أو الصدام الحضاري لا تبدو قدرة منطقية أو طبيعية في سباق التطور، بل تبدو على العكس فكرة مقحمة ومصطنعة ومثيرة للشكوك، كما لو أن هناك من يتعمد ويتعجل إثارتها وتسويقها! ولربما هنالك أصابع خفيفة ذات مصلحة ما في التحريض على الصدام الحضاري بين الإسلام والغرب.

وفكرة الصراع أو الصدام الحضاري إنما تعبر في حقيقتها عن حالة من المخاوف والهواجس التي تنتاب بعض دوائر البحث والفكر في الغرب من حين لآخر في مواجهة الحضارة الإسلامية العربية، ولربما كان مبعث ذلك ما تثبته الإحصاءات والأرقام، والغرب مولع بالتعبير الرقمي عن الظواهر الإنسانية والاجتماعية من نمو سكاني في العالم الإسلامي هائل، ومن هنا يمكننا فهم دواعي قلق صمويل هينتنجتون في تصور (صدام الحضارات) الذي قدم لأسسه النظرية في مقال نشره عام 1993م، قبل صدور كتابه (صدام الحضارات وإعادة صنع النظام العالمي) عام 1996م، وفي هذا الكتاب يورد لنا مثلاً جدولا إحصائياً يمثل أنصبة السكان في العالم تحت السيطرة السياسية للحضارات حيث يتضح من هذا الجدول (جدول رقم 4–3) أن الحضارة الغربية قد تقلص نصيبها من 44.3٪ من عدد سكان العالم في سنة 1900 م إلى 13.1٪ في سنة 1955 م، ينتظر أن تتدنى النسبة أكثر لتصبح 10٪ فقط في سنة 2015 م. وعلى خلاف ذلك فإن نصيب الحضارة الإسلامية من عدد سكان العالم قد ارتفع بشكل ملحوظ من 4.2٪ سنة 1900 م إلى 16٪ سنة 1995 م وحيث يتوقع أن يزيد إلى 20٪ في سنة 2025 م، إن هذا النمو السكاني الهائل من جانب الإسلام، وذلك التراجع الملحوظ من جانب الغرب يمثل قلقاً شديداً لدى البعض ويعزز فكرة الصدام الحضاري.

وربما يضاعف هذا الهاجس الحضاري –صدام الحضارات– لدى الغرب تلك

المقارنة بين نسبة الأراضي الواقعة تحت السيطرة السياسية للحضارة، إن نسبة الأرضي الواقعة تحت النفوذ السياسي للحضارة الغربية في عام 1993م. وقد تقلصت من 48٪ عام 1920الى 24.2٪ في عام 1993وبينما ارتفعت على العكس نسبة الأرض الواقعة تحت النفوذ السياسي للحضارة الإسلامية من 3.5٪ عام 1920 حتى بلغت 21.1٪ في عام 1993م

وفي جدول إحصائي آخر (جدول رقم 4–5) يضم أنصبة الحضارات من مجمل الناتج الاقتصادي العالمي يتضح زيادة نصيب الحضارة الإسلامية من هذا الناتج الاقتصادي العالمي إلى 11٪ في عام 1992 م بعد أن كان لا يتجاوز 9، 2 فقط عام 1950م وفي ذات الوقت الذي انخفض فيه نصيب الحضارة الغربية من 62.1٪ عام 1950م إلى 48.9٪ في عام 1992م(66).

وهذا التصور (لصدام الحضارات) يضع الإسلام على أحد خطوط التناحر مع الحضارة الغربية باعتباره إحدى الحضارات الأكثر تحدياً للغرب، وتشهد صعودا ضاغطاً للتيار الديني، يعرقل تطور الديمقراطية الليبرالية ويدعو هذا التصور (لصدام الحضارات) الدول الغربية إلى التضامن فيما بينها للقضاء على العالم الإسلامي دينياً، واقتصادياً، وعسكرياً وجغرافياً، واجتماعياً، وحقيقة الأمر أنه إذا كان البعض يتبنى في الغرب نظرية حتمية صراع الحضارات، فإن الإسلام لا يرى ذلك أمراً حتمياً لا مفر منه؛ لأن الصراع القائم بين البشر لا يقتصر على الصراع بين الحضارات، فهناك أيضاً صراعات تقع بين البشر داخل الحضارة الواحدة، وما أكثر هذه الصراعات في عالمنا الذي نعيش فيه، ولكن موقف الإسلام المبدئي الثابت يتلخص في أن تعددية الأجناس في المجتمعات البشرية، أو بمعنى آخر تعددية الحضارات واختلافها لا يجوز أن تكون مدخلاً للنزاع والشقاق، وأن تمثل عائقاً أمام توحيد جهود الناس وتآلفهم فيما بينهم، فالتعددية ينبغي أن تفتح الطريق أمام التعاون والوحدة وهنا تكمن المهمة الإنسانية التي ينبغي على الإنسان حيثما كان موقعه أو معتقده أن يتحمل مسؤوليتها، ويشير القرآن الكريم إلى ذلك بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ [الحجرات: 13].

وهنا جعل القرآن الكريم الاختلافات بين البشر مدخلاً للتعارف والتآلف

66– انظر الأهرام. الجمعة 12 أكتوبر 2001 م ص 10.

والتعاون لا مقدمة للنزاع والشقاق والصراع، فنظرية الصراع الحتمي للحضارات مرفوضة أساساً من الإسلام الذي يقرر أن الناس جميعاً قد خلقوا من نفس واحدة، وأن العدوان على نفس واحدة يعد عدواناً على البشرية كلها وليس على طائفة معينة أو حضارة بعينها، ومن هنا فإن التصور الإسلامي أوسع دائرة، وأرحب أفقاً، وأعمق إنسانية من تلك التصورات العنصرية التي تسعى إلى إعلاء شأن حضارة ما على غيرها من الحضارات والثقافات.

المطلب السادس: شهادة التاريخ على الغرب بالعنف والإرهاب

إذا كان التاريخ يشهد بسماحة الإسلام والمسلمين مع غيرهم، وينفي تهمة الإرهاب عن الإسلام الحنيف التي ألصقها بها أعداؤه، فإن التاريخ -وكذلك الواقع- يشهد بأن الغرب -الذي يستمد سياسته من الصهيونية- لا يعرف غير العنف والإرهاب، ولا يؤمن إلا بالوحشية والإبادة ولا يسلك إلا سبيل التعذيب والتنكيل، ولا غاية له غير الاعتداء والعدوان.

وفيما يلي نذكر نماذج من الإرهاب الغربي:

الصليبيون حين دخلوا القدس

قال غوستاف لوبون في كتابه (حضارة العرب): «وكان سلوك الصليبين حين دخلوا القدس غير سلوك الخليفة الكريم عمر بن الخطاب نحو النصارى حين دخلها منذ بضعة قرون»(67).

قال كاهن مدينة لويوي ريموند داجيل: «حدث ما هو عجيب بين العرب عندما استولى قومنا على أسوار القدس وبروجها، فقد قطعت رؤوس بعضهم، فكان هذا أقل ما يمكن أن يصيبهم، وبقرت بطون بعضهم، فكانوا يضطرون إلى القذف بأنفسهم من أعلى الأسوار، وحرق بعضهم في النار فكان ذلك بعد عذاب طويل، وكان لا يرى في شوارع القدس وميادينها سوى أكداس من رؤوس العرب وأيديهم وأرجلهم، فلا يمر المرء إلا على جثث قتلاهم، ولكن كل هذا لم يكن سوى بعض ما نالوا ...»(68).

وروي ذلك الكاهن الحليم خبر ذبح عشرة آلاف مسلم في مسجد عمر، فعرض

67- حضارة العرب. غوستاف لوبون ص 325.

68- المصدر نفسه ص 325.

الوصف اللطيف الآتي: «لقد أفرط قومنا في سفك الدماء في هيكل سليمان، وكانت جثث القتلى تعوم في الساحة هنا وهناك، وكانت الأيدي والأذرع المبتورة تسبح كأنها تريد أن تتصل بجثث غريبة عنها، فإذا ما اتصلت ذراع بجسم لم يعرف أصلها، وكان الجنود الذين أحدثوا تلك الملحمة لا يطيقون رائحة البخار المنبعثة من ذلك إلا بمشقة»[69].

ولم يكتف الفرسان الصليبيون الأتقياء بذلك، فعقدوا مؤتمراً أجمعوا فيه على إبادة جميع سكان القدس، من المسلمين واليهود وخوارج النصارى الذين كان عددهم نحو ستين ألفاً فأفنوهم على بكرة أبيهم في ثمانية أيام، ولم يستثنوا منهم امرأة ولا ولداً ولا شيخاً[70].

الحملة الصليبية الثالثة (1189 – 1192 م)

وكان أول ما بدأ به ريكاردس –ملك انجلترا وهو من قادة الحملة الصليبية الثالثة– هو قتله أمام معسكر المسلمين ثلاثة آلاف أسير مسلم سلموا أنفسهم إليه بعدما قطع لهم عهداً بحقن دمائهم، ثم أطلق لنفسه العنان في اقتراف أعمال القتل والسلب[71].

الصليبيون في أورشليم (1099م)

جاء في قصة الحضارة: قال قيس ريمند الإجليلي شاهد العيان: وشاهدنا أشياء عجيبة، إذ قطعت رؤوس عدد كبير من المسلمين، وقتل غيرهم رميا بالسهام، أو أرغموا على أن يلقوا أنفسهم من فوق الأبراج، وظل بعضهم الآخر يعذبون عدة أيام، ثم أحرقوا في النار، وكنت ترى في الشوارع أكوام الرؤوس والأقدام، وكان الإنسان أينما سار فوق جواده يسير بين جثث الرجال والخيل.

ويروي غيره من المعاصرين تفاصيل أدق من هذه وأوفى، يقولون: إن النساء كن يقتلن طعناً بالسيوف والحراب، والأطفال الرضع يختطفون بأرجلهم من أثداء أمهاتهم ويقذف بهم فوق الأسوار، أو تهشم رؤوسهم بدقها بالعمد، وذبح السبعون ألفاً من المسلمين الذين بقوا في المدينة[72].

69– حضارة العرب. غوستاف لوبون ص 326.

70– المصدر نفسه ص 325 – 326.

71– المصدر نفسه ص 330

72– قصة الحضارة. ول ديورانت. المجلد الثامن ج 15 ص 25.

إرهاب فرديناند الكاثوليكي غرناطة في سنة 1492هـ

حاصر فرديناند الكاثوليكي في سنة 1492 هـ غرناطة التي كانت آخر معقل للإسلام في أسبانية، وعاهد العرب على منحهم حرية الدين واللغة، ولكن سنة 1499 هـ لم تكد تحل حتى حل بالعرب دور الاضطهاد والتعذيب الذي دام قروناً والذي لم ينته إلا بطرد العرب من أسبانية.

جاء في كتاب (حضارة العرب): «وأنه -أي فرديناند- أخذ يمعن في قتلهم -أي العرب- وتشريدهم جماعات، وأن خلفاءه ساروا على سنته، وأنه قتل من العرب وشرد ثلاثة ملايين نفس فخبت إلى الأبد شعلة حضارة العرب التي كانت تنير أوربة منذ ثمانية قرون.

وكان تعميد العرب كرهاً فاتحة ذلك الدور، ثم صارت محاكم التفتيش تأمر بإحراق كثير من المعمدين على أنهم من النصارى، ولم تتم عملية التطهر بالنار إلا بالتدريج لتعذر إحراق الملايين من العرب دفعة واحدة، ونصح كردينال طليلة التقى الذي كان رئيساً لمحاكم التفتيش بقطع رؤوس جميع من لم ينتصر من العرب رجالاً ونساء وشيوخاً وولداناً، ولم ير الراهب الدومينيكي بليدا الكفاية في ذلك فأشار بضرب رقاب من تنصر من العرب، ومن بقي على دينه منهم، وحجته في ذلك أن من المستحيل معرفة صدق إيمان من تنصر من العرب، ولم تر الحكومة الأسبانية أن تعمل بما أشار به هذا الدومينيكي الذي أيده الإكليروس في رأيه، وإنما أمرت في سنة 1610 م بإجلاء العرب عن أسبانية، فقتل أكثر مهاجري العرب في الطريق، وأبدى ذلك الراهب البارع بليداً ارتياحه لقتل ثلاثة أرباع هؤلاء المهاجرين في أثناء هجرتهم، وهو الذي قتل مئة ألف مهاجر من قافلة واحدة كانت مؤلفة من 140000 مهاجر مسلم حينما كانت متجهة إلى أفريقية، وخسرت أسبانية بذلك مليون مسلم من رعاياها في بضعة أشهر، ويقدر كثير من العلماء ومنهم سيديو، عدد المسلمين الذين خسرتهم أسبانية منذ أن فتح فرديناند غرناطة حتى إجلائهم الآخر بثلاثة ملايين»[73].

إرهاب الحملة الفرنسية على مصر

ومن صورة الإرهاب للحملة الفرنسية:

73- حضارة العرب غوستاف لوبون ص 147، 147، 270، 271

أ. التخريب والتشويه للعمارة الإسلامية

قال الجبرتي في (مذهب التقديس في ذهاب الفرنسيس): « توالى الهدم والخراب وتغيير المعالم وتنويع المظالم، وعم الخراب خطة الحسينية خارج باب الفتوح والخروبي، فهدموا تلك الجهات والأخطاط، والحارات، والدروب، وما في ضمن ذلك من الحانات، والوكايل، والرباع، والدور، والحمامات، والمساجد، والمزارات، والزوايات، والتكايا، وبركة حباق، وما بها من دور والقصور المزخرفة، وجامع الجنبلاطية العظيم بباب النصر، وما كان به من القبب العظام المعقودة من الحجر المنحوت المربعة الأركان، الشبيهة بالأهرام، والمنارة ذات الهلالين، واتصل الهدم خارج باب النصر بخارج باب الفتوح، وباب القوس إلى باب الحديد حتى بقى ذلك كله خراباً متصلاً »(74).

ب. هدم المساجد

لقد بلغ عدد المساجد التي تعمد نابليون تدميرها حداً كبيراً ومخيفاً ما وجدنا مثله في التاريخ، ذك لأنه تدمير منتقى متعمد. قال الجبرتي في كتابه (مذهب التقديس في ذهاب الفرنسيس): « هدم جامع السبع سلاطين، والجامع الجركسي، وجامع خوند، ومساجد باب القرافة، وتحويل الجامع الناصري إلى قلعة وكذا جامع الزمر.

وهدموا جامع أبي هريرة بالجيزة، وخربوا جامع أزبك العظيم وجعلوه سوقاً لبيع أقلام المكوس وخربوا جامع الرويعي وجعلوه خمارة، وهدموا جامع الجنبلاطية العظيم بباب النصر، والمسجد المجاور لقنطرة الدكة،، ومسجد المقس على الخليج الناصري، وجامع الكارزوني بالروضة، وجعلوا جامع الظاهر بيبرس خارج الحسينية قلعة، وهدموا منارته، وجعلوها برجاً ووضعوا في أسواره مدافع، وأسكنوه جماعة من العسكر »(75).

ج. الثورة الفرنسية والجامع الأزهر الشريف

قال الجبرتي عن رجال الثورة الفرنسية في مصر « ورفعوا أعلامهم على باب الأزهر، وقصفوه بالمدفعية، والعجيب في الأمر أن كل هذه السياسة الحاقدة التي يتصف

74- مذهب التقديس في ذهاب الفرنسيس. الجبرتي ص 304

75- المصدر نفسه ص 305 - 309.

بها اليعقوبي الفرنسي والتي انصبت بطريقة تدميرية هستيرية لا تمنعه من القول إنه كان يريد أن يبني في مصر جامعاً لولا توجهه للشام ثم سفره إلى فرنسا »[76].

د. قطع الأشجار

قال الجبرتي: « وقطعوا أشجارا كثيرة، ونخل البساتين وأشجار الجيزة والنخيل جهة الحلى وبولاق ومنها قطعهم الأشجار والنخيل من جميع البساتين والجناين الكائنة بمصر وبولاق، ومصر القديمة، والروضة، وجهة القصر العيني، وخارج الحسينية، بل وجميع القطر المصري كالشرقية، والغربية، والمنوفية، وبساتين رشيد، ودمياط ».

هـ. التعذيب والتنكيل

إن الغرب الفرنسي حين حمل سليمان الحلبي المناضل الكبير ابن سوريا إلى الخازوق في مصر المحتلة ... وفي الساحة التي تم فيها حرق يده وتثبيته في الخازوق، وقف ضابط فرنسي كان شاهد عيان عما حدث، وقال بالحرف الواحد، مما هو مسجل في الوثائق الفرنسية عن سليمان الحلبي: « بطح أرضاً وشق شرجه وأدخل فيه الخازوق وربطوا ساقيه وفخذيه ويديه وجسمه ... ودفع الخازوق ... وهو ثابت ... »[77].

هذه بعض صور الإرهاب الفرنسي في مصر والتي شملت الإنسان، والمقدسات، والأشجار، والأموال. ومع هذا العنف والإرهاب كان نابليون يدعي حب الإسلام والمسلمين، وكره المسيحية والمسحيين.

الاعتداء على المسلمين في البوسنة والهرسك[78]

البوسنة والهرسك مأساة القرن العشرين بكل المقاييس، والجرح الدامي في الجسم الإسلامي بعد الجرح الغائر في الجسد العربي في فلسطين.

هذا الجرح الذي لم يندمل بعد. مأساة تحول الولدان شيباً حيث تنوع الفتك والتنكيل فيها تنوعاً يفوق وصفه بلاغة البلغاء. فمن حوامل تبقر بطونهن، إلى عذارى

76- مذهب التقديس في ذهاب الفرنسيس. الجبرتي ص 350.

77- حقيقة الغرب. د. مصطفى عبد الغني ص 12

78- راجع كتاب : قضية البوسنة والهرسك، دراسة تاريخية وإنسانية، الأرقم الرغبي، بيروت، دار النفائس 1993، وانظر : تصريح العقيد معمر القذافي. لمراسلي وكالات الأنباء العالمية. صحيفة الجماهيرية العدد 1603 بتاريخ 1994/7/26م.

تنتهك أعراضهن، إلى شيوخ تمتهن كرامتهم، إلى شباب تقطع أوصالهم ورجال ونساء تبتر أطرافهم، إلى تشريد لا حد له، إلى تخريب شمل كل المنشآت في كل الأنحاء.

« بعد أن قام الصرب بتدمير المساجد والمدارس والمؤسسات الإسلامية توجهت أيدي القتلة الحاقدين إلى رموز الإسلام في هذه البلاد فقد قتلوا العلماء والمؤذنين واغتصبوا المحجبات. وأخذت البنات المسلمات من بيوتهن ومدارسهن ولم يعدن إلى ذويهن مما اضطر بعض الفتيات أن يهربن خارج البلد مع وجود ذويهن في الداخل. ويجري تعذيب بعض الأئمة ومطالبتهم بالكفر بالإسلام والإيمان بالمسيحية، أو وضع علامة الصليب. فإذا رفض الإمام قطعت أصبعان من أصابعه ثم يقال أنت الآن تصنع إشارة التلثيث شئت أم أبيت ثم يقتل. وقد تناقلت الأنباء قصصا كثيرة عن قتل الأطفال الرضع والأيتام والتمثيل بجثثهم، وتحدث عمليات إعدام يومية في معسكرات الاعتقال الصربية واغتصاب الفتيات الصغيرات ومحاولة إصابتهن بالعقم. وقد اضطر المسلمون في إحدى المدن إلى أكل الأعشاب والأشجار من الجوع فأرسل الصرب من رشها بالمواد الكيماوية السامة »(79).

لما فشل النظام الشيوعي في نزع الإسلام من قلوب المسلمين في البوسنة والهرسك رغم حملات القمع والاضطهاد وسقطت الشيوعية وانهار الاتحاد اليوغسلافي السابق وحان الوقت لإعلان جمهورية البوسنة والهرسك كدولة مستقلة أسوة بباقي الجمهوريات التي أعلنت الاستقلال، بدأت الحرب بين الصرب والمسلمين. وبدأ الصرب في تنفيذ مؤامرة دولية في مارس 1992 م لمنع قيام دولة إسلامية في أوربا، وبدأت عمليات القتل الجماعي والتطهير العرقي واغتصاب آلاف الفتيات لإجبار المسلمين على العودة عن دينهم أو الرحيل عن وطنهم.

واستخدم الصرب فيها كل أنواع الأسلحة وقصفوا المدن بالطائرات وقتلوا الأطفال وعلقت الأعلام الصربية على المآذن وبدل الآذان أذاعوا عبر مكبرات الصوت أشرطة القساوسة الأرثوذكس وهم ينشدون في الكنائس شعارات تنادي بالفتح والتحرير وإنقاذ الصرب من ضغوط المسلمين.

79- راجع كتاب : الصرب الأرثوذكس الطائفة المفترى عليها، دراسة تحليلية معمقة لفهم الأزمة اليوغسلافية. د. جعفر عبد المهدي صاحب دار النخلة للنشر الطبعة الأولى سنة 1997، طرابلس، ليبيا. ص 94، 95 وما بعدها

« إن قضية البوسنة والهرسك تمثل أبشع صور التتارية في العصر الحديث وفي شريعة النظام العالمي الجديد. الذي يكاد يقنن إبادة شعب بأكمله ومحو دولته من خريطة العالم. وشاهدنا في ذلك أن الدول الأوربية تكاد تجمع فيما بينها ألا تسمح لدولة إسلامية أن تقوم في أوربا، إذ كيف نفسر تلك اللامبالاة في اتخاذ خطوات إيجابية لحماية المسلمين، كما فعلت حين تحركت بإيجابية لحماية الكروات حينما تعرضوا لهجوم الصرب. بل على النقيض من ذلك غضت الطرف وأعطت بذلك الضوء الأخضر للصرب للقضاء على المسلمين بتلك الصور البشعة التي لا تماثلها إلا صبرا وشاتيلا[80] وقد وضح مؤخراً أن هناك اتجاهات لتقسيم البوسنة والهرسك على أساس عرقي »[81].

لقد تعرض مسلمو البوسنة والهرسك للعديد من التحديات وأعمال العنف سواء في فترة النمسا أو الصرب أو الشيوعية. وخاضوا عدة معارك من أجل البقاء والحفاظ على الهوية الإسلامية. ومما يندي له الجبين أن قضية البوسنة والهرسك شهدت تخاذلا دولياً خطيراً. وكذلك من كافة الأطراف العالمية والإسلامية.

إن الأوضاع في البوسنة والهرسك على مأساويتها تبدو كأنها حالة استثنائية وفريدة من بين الحالات التي يخشي العالم أن يتعامل معها بالأسلوب الذي يليق بها. إن الذي حدث في البوسنة والهرسك وصمة عار في جبين قادة العالم الإسلامي والمسلمين لأنهم مسئولون أمام الله تجاه هذه القضية.

الاعتداء على المسلمين في كشمير

المسلمون في كشمير لم يسلموا من المعاناة والتعذيب والوحشية من قبل ذوي السلطة الهندية، وتعتبر مشكلة كشمير المسلمة إحدى النتائج السيئة التي تمخض عنها الاستعمار البريطاني الذي تسلط على شبه القارة الهندية واستنزف ثرواتها أكثر من ثلاثة قرون، فقد خلف من ورائه مشكلات جسيمة تعاني منها الشعوب قبل الدول بعد رحيله عنها وحصولها على الاستقلال « في 15 أغسطس 1947م. رحل الاستعمار البريطاني عن الهند بعد أن قسمها دولتين (باكستان) و(هندوستان) على أساس أن المناطق ذات

80- صبرا وشاتيلا مجزرة ذهب ضحيتها ما لا يقل عن خمسة آلاف شخص، يوم كانت بيروت تحت الاحتلال الإسرائيلي صيف عام 1982م.

81- راجع : الفصل الرابع من كتاب العرب الأرثوذكسي، الطائفة المفترى عليها د. جعفر عبد المهدي صاحب إفرازات الأزمة البوسنية. ص129 وما بعدها

الأغلبيـة المسـلمة تـنظم إلى باكسـتان والمنـاطق ذات الأغلبيـة غـير المسـلمة تـنظم إلى هندستان وصاحب هذه الفترة عمليات بطش رهيبة وإبادة للمسلمين »[82].

وفي يولية 1965م قبضـت الهنـد علـى ناصـية الحكـم في كشـمير وأنزلـت علـم الإمارة عن مبنى المجلس النيـابي في سـرينجار عاصـمة كشـمير، ورفعـت مكانـة العلـم الهندي واعتبرها ولاية هندية، ومما يخطط ضد المسلمين لمحو هويتهم الإسلامية تغـيير المنهج التعليمي الإسلامي إلى المنهج التعليمي الهندوسي. تحويـل المعاهـد العلميـة إلى أوكار لنشر الفسـاد الخلقـي. تشـجيع الـزواج بـين المسـلمين والهنـدوس. إباحـة الخمـر وترويجها على حساب الدولة في جميـع أنحـاء الولايـة. تجريـد اللغـة الكشـميرية مـن الألفاظ العربية للقضاء على الصلة بين الجيل الناشئ وبين الكتـب الإسـلامية. بـث الفرقـة والخلاف بين المسلمين. استخدام وسائل الإعلام الأساليب الإباحية. والـدعوة إلى القوميـة الهندية. التنكيل بالعناصر المجاهدة[83].

لقد تحولت أوضاع المسلمين في كشمير إلى الأسوأ بكثير فيما بعد. بعد اسـتيلاء الهنـد عليهـا. وانتهجـت سياسـة تصـفية المسـلمين وقمعهـم. وعلـى الـرغم مـن خطـورة المشكلة الكشميرية لم تأخذ حقها من الاهتمام والرعاية من جانب المنظمـات والهيئـات والمؤسسات الخيرية إلا القليل والإنسـان الكشـميري لا يطالـب أكثـر مـن حـق المصـير كغيره من بني البشر.

الاعتداء على المسلمين في بورما[84]

إن محنة الأقلية المسلمة في دولة بورما الوثنية مثيرة للأسـى والحـزن. فمنـذ مـدة غـير بعيـدة قامـت الحكومـة البورميـة الوثنيـة بحمـلات شرسـة وحركـات إبـادة ضـد المسلمين، وقد بدأ هذا الاضطهاد في السنوات الأولى من الاستقلال.

قال يسري عبد الغني البشري: « إن مسلمي بورمـا يتعرضـون اليـوم لأكـبر حملـة اضطهاد وصلت إلى درجة الإبادة الجماعية وقـد وصـلت السـلطات البوذيـة البورميـة إلى درجة التبجح، فهي لا تقيم وزنا للعالم الإسلامي الذي بلغ عدد سـكانه مليـارا مـن البشـر

82- مأساة كشمير عبد القادر خان ترجمة إبراهيم نوار مطبعة مصر 1948م. ص78وما بعدها.

83- مجلة الأزهر ج6 ص873السنة 65جمادي الآخرة 1413هـ ديسمبر 1992م.

84- بورما إحدى دول جنوب شرقي آسيا وبلغ عدد سكانها في نهايـة القـرن الرابـع عشـر الهجـري 32 مليونا وبلغ عدد المسلمين أكثر من 3 ملايين.

أو يزيدون. إن هذه السلطات التي انحطت إلى الدرك الأسفل من الفاشية، تعتبر مسلمي بورما أجانب عن الوطن برغم أن آباءهم وأجدادهم ولدوا في بورما ونشأوا وشبوا على أرضها ودفن موتاهم في أرضها »[85].

وقد أدى هذا الاضطهاد إلى فرار المسلمين بحياتهم إلى بنجلاديش الفقيرة. وكشف اللاجئون عن صنوف العذاب والتعذيب والقتل الجماعي وانتهاك الأعراض وسلب الممتلكات التي مارستها ضدهم السلطات العسكرية العنصرية الحاكمة في بورما، وقد وصل عدد معسكرات اللاجئين في بنجلاديش أكثر من ثلاثمائة يواجهون فيها الموت البطيء، ولم تقف الحكومة البورمية الوثنية عند هذا الحد، بل واصلت الانتقام، وتمادت في الطغيان، فحرمت المسلمين من كافة حقوقهم السياسية والدينية والعقائدية بما يخالف القانون الدولي ومواثيق حقوق الإنسان وغيرها من الاتفاقيات المتعددة، وطبقت عليهم قانون التمييز العنصري لسنة 1982م باعتبارهم غرباء ومهاجرين، فلا يعاملون على قدم المساواة مع الآخرين، وليس هنالك تأمين على حياتهم أو ممتلكاتهم، ولا يسمح لهم بحق التجول في البلاد ويحرم أبناؤهم من التعليم والمنتظم ولم تكتف الحكومة البورمية بذلك بل وصل الأمر بها منع النشاطات الإسلامية وهدم المساجد وإجبار المشايخ وعلماء الدين على العمل في إنشاء الطرق والبيوت ومعسكرات الجيش، وتمزيق الكتب الإسلامية ومصادرة أغلب المزارع. وإغلاق المؤسسات الثقافية والاجتماعية الخاصة بالمسلمين. وتشجيع الحملات المضادة للمسلمين. وغسل مخ الأطفال من أبناء المسلمين في المدارس.

إن هذه المأساة كارثة إنسانية كبيرة ويجب على المسلمين كبح جماح المتسببين في هذه المحنة الإنسانية قبل أن تخرج عن نطاق السيطرة.

الاعتداء على المسلمين في القرم[86]

أصدر لينين في إبريل 1337هـ/1918م أمراً بالزحف على البلاد الإسلامية التي كانت واقعة تحت سيطرة القياصرة من قبل، وفي عام 1339هـ/1920م وجه جحافل قواته إلى القرم وعندئذ فرضت القوات البلشفية حصاراً شديداً على أهل القرم حتى

85- المسلمون المنسيون يسري عبد الغني البشري ص12 مكتبة ابن سينا.

86- القرم شبه جزيرة تقع شمال البحر الأسود بين أزوف والبحر الأسود وتقرب من جهة الشرق من مضيق كرتشي الذي يصل بحر أزوف بالبحر الأسود.

انتشرت المجاعة «ولقد كان سكان القرم عندما دخلت القوات الروسية البلشفية خمسة ملايين نسمة من التتار المسلحين أبيد أكثرهم حتى لم يبق عام 1940 م إلا نصف مليون فقط. وكان المفروض أن يزدادوا خلال عشرين عاما لا أن يقلوا، ولكن نتيجة الحكم الإرهابي الدموي الأحمر والبطش الشيوعي الذي هان بجانبه بطش القياصرة فإن سكان القرم كانوا يموتون جوعاً وقتلا وسحلاً، ويفر من يستطيع منهم الفرار حتى أصبح عددهم خلال عشرين عاماً من هذا الحكم الرهيب خمسمائة ألف نسمة فقط»(87).

وكان في القرم عند دخول لينين 1558 مسجداً هدمت جميعها وتحولت إلى نواد واصطبلات ومتاحف ما عدا بضعة مساجد أبقيت للعبرة، ورغم أن القرم بعد المجاعة أظهرت استسلامها للحكم البلشفي الرهيب وأظهرت الخضوع ووافق لينين على أن يجعل لها حكومة محلية وجعل رئيس هذه الجمهورية الشيوعي الهتغاري (بالاكون) وعرفت هذه الجمهورية باسم جمهورية القرم الآسيوية الاشتراكية السوفيتية؛ إلا أن بالاكون استمر في سياسة تهجير أهل القرم من التتار وإحلال روس وأكرانيين وبلغار محلهم. ورغم انخراط بعض سكان أهل القرم في الحزب الشيوعي وتظاهرهم بالشيوعية حتى وصل بعضهم إلى رئاسة جمهورية القرم، إلا أن لينين قام بقتل رئيس الجمهورية هذا وجميع وزرائه عام 1928م.

وفي عام 1930 قتلوا رئيس الجمهورية محمد قويا وجميع وزرائه. وفي عام 1937 تكررت نفس القصة والمشهد الأليم حي قام قياصرة روسيا البلاشفة بإعدام رئيس الجمهورية إلياس طرخان مع جميع أعضاء حكومته(88). وفي سنة 1977 شعر الروس أن بعض المنفيين من تتار القرم يعودون إلى بلادهم دون إذن من السلطات الرسمية، فأرسل الروس بعض أفراد رجال الأمن يخربون البيوت التي قطنها هؤلاء العائدون فوق رؤوس ساكنيها واقتادوا من نجا من الموت منهم إلى السجون، ورفضوا طلبات العودة من التتار. وشاءت إرادة الله أن ينهار الاتحاد السوفيتي سنة 1991م والمسلمون لا يزالون هائمين يريدون العودة إلى وطنهم، ولكن روسيا تحكم عليهم قبضتها. وتمنعهم من العودة إلى ديارهم لأنهم مسلمون.

87- مجلة الأزهر ج6 ص 873، جمادي الآخرة 1413هـ.

88- مجلة الأزهر ج6 ص 873، جمادي الآخرة 1413هـ

الإرهاب الصربي في كوسوفا

الانفجار الكبير بدأ منذ قيام الديكتاتور الصربي سلوبودان ميلوسوفيتش في مارس 1989م بإلغاء وضع الحكم الذاتي الذي كان الإقليم يتمتع به منذ عام 1974 م، ثم قيامه في عام 1990م بحل المؤسسات السياسية الألبانية وتم استبدالهم بآخرين من الصرب.

من صور الإرهاب الصربي في كوسوفا:

أ. إغلاق الكتاتيب والمدارس الإسلامية

فقد تم في هذا الإطار سلسلة من القوانين قضت بإغلاق جميع كتاتيب تعليم القرآن الكريم، والمدارس الابتدائية الإسلامية، ومنع الدراسات القرآنية في المساجد واعتبارها جريمة جنائية[89].

ب. منع استخدام اللغة الألبانية

كما منعت السلطات الصربية استخدام اللغات الألبانية في وسائل الإعلام، وأوقفت الصحف الرئيسية التي تصدر باللغة الألبانية، إضافة إلى منع التعليم بتلك اللغة في المدارس، وبحلول عام 1996 م جلبت يوغسلافيا نحو 20 ألف لاجئ صربي وتم توطينهم في كوسوفا[90].

ج. الوحشية الجنسية

إن مأساة الاغتصاب والآثار النفسية التي تحملها الفتيات الألبانيات يمكن أن تكون أصعب وآلامها أكثر، فهن يخجلن من التصريح عما جرى لهن في معتقلات الاغتصاب التي أقامها الجنود الصرب في كوسوفا والتي شهدت أبشع أنواع الأساليب الوحشية الجنسية التي اشتهر بها الجنود الصرب، وبخاصة عصابات مجرم الحرب (راجنيا توفتيش أركان) التي سمع عنها العالم قبل سنوات في البوسنة[91].

89- الوعي الإسلامي العدد 4. 3 السنة 36 ربيع الأول 1420 هـ يونيو 1999 م ص 14.

90- المصدر نفسه ص 14.

91- المصدر نفسه ص 11.

د. إلغاء الهوية

والممارسات الصربية لا تقف عند اغتصاب وإذلال وامتهان كرامة أبناء الشعب الكوسوفي فقط، بل تتعداه إلى إلغاء وجود هذا الشعب تماماً، فإلى جانب إحراق المنازل التي كان يسكنها الألبانيون، قامت القوات الصربية بإحراق جميع مكاتب الأجهزة الحكومية التي توجد فيها مستندات خاصة بالمعالات العادية الدالة على وجود بشر كانوا يسكنون القرى والمدن التي تضم تلك الأجهزة، إضافة إلى تجريد كل شخص عند وصوله إلى الحدود وقبل السماح له بالعبور إلى ألبانيا أو مقدونيا أو أي من الدول الأخرى المجاورة من بطاقات الهوية وجوازات السفر والشهادات الدراسية والثبوتية الأخرى، وتسحب رخص القيادة(92).

هـ. الإبادة والتشتيت

فقد بدأ الصرب تنفيذ مخطط الإبادة والتهجير مع تشتيت الأبناء بعيداً عن الآباء وفصل الزوجات عن أزواجهم وإبعادهن إلى الدول المجاورة، في الوقت الذي تم فيه ترحيل نحو مئة ألف آخرين إلى الدول الأوربية والولايات المتحدة، وعودة هؤلاء أشبه بالمستحيلة إذا لم تتوافر لهم تأكيدات أن حال التوتر لن تعود، وهو مالا توجد أي مؤشرات عليها، فالدول الغربية والولايات المتحدة لا تتحدث عن كيان مستقل لأبناء الشعب الكوسوفي بل عن كيان تابع ليوغسلافيا مع منحه صلاحيات الحكم الذاتي(93).

ورغم تعرض مسلمي كوسوفا لأكبر حملة تطهير عرقي وتهجير جماعي، فإن أهالي كوسوفا الذين تحدوا بإسلامهم سلطة الشيوعية الغاشمة وحافظوا على دينهم قدر ما استطاعوا، سيحافظون على هويتهم ودينهم مهما حاول الحقد الصربي المهووس محوهم، وتشتيتهم في بقاع الأرض.

الإرهاب الأمريكي في الدول العربية

أخيراً وليس آخراً ما نشاهده اليوم والغد من احتلال لفلسطين والعراق ولبنان والسودان وغيرها، من شتى صنوف الأذى، سلب لاستنزاف ثروات المسلمين، وإبادتهم، واغتصاب نسائهم، وإلغاء هويتهم، وهدم لبيوتهم، ومساجدهم، ومن بقي منه لم يسلم

92- الوعي الإسلامي ص11.

93- المصدر نفسه ص 12.

من المعاناة والتعذيب والوحشية وفرض الحصار عليهم بشتى ألوانه، وقتل رموز البلاد من المسلمين، وتخريب وتشويه للمعالم الإسلامية ... الخ.

ولو كان لساسة البيت الأبيض ذرة رحمة في قلوبهم تجاه المسلمين لما أجرموا أخيرا وليس آخراً بحق شعب كامل، وهو شعبنا العربي في فلسطين، وذلك من خلال دعم إدارتهم المتعاقبة لحكام تل أبيت وكيانهم المسخ، ولا ننسى ما فعلته أمريكا حينما هدمت البيوت الآمنة رؤوس الأطفال والنساء والشيوخ في مدينتي طرابلس وبنغازي عام 1986 ف، والقتل الجماعي والمذابح الجامعية بحق أطفال العراق منذ عام 1991 ف وكذلك الجنوب اللبناني وما تفعله وتدبره الآن في الدول الأفريقية والقائمة طويلة لا مجال لحصرها.

فمتى يفيق العرب والمسلمون من غفوتهم؟ ومتى ينفضون عنهم غبار سباتهم العميق؟ ومتى يدركون حقيقة ما يدبره الغرب؟ ويقولون متى هو؟ قل عسى أن يكون قريباً!

من خلال ذلك تتضح الحقائق الآتية:

أولاً: إن الإسلام ليس دين إرهاب وعنف -كما يدعي الغرب- ولكنه دين عفو ورحمة، ورفق وسماحة، وسلام وأمن، شمل الناس بسماحته، ووسع الخلق برحمته، دون تمييز بين المسلمين وغيرهم، والتاريخ أكبر شاهد على سماحة الإسلام، وأعظم دليل على رفق المسلمين بغيرهم.

ثانياً: إن مفهوم الإرهاب في الإسلام يتمثل في إعداد القوة الشاملة التي تخيف الأعداء، وتمنع كل من تسول له نفسه بمحاربة الإسلام، والاعتداء على المسلمين، وتدفع الأعداء إلى الدخول في السلم مع المسلمين، واحترام المعاهدات وتعظيم المقدسات. وأن هذا المفهوم للإرهاب في الإسلام لا يتعدى هذا المعنى ولا يتجاوز هذا الغرض.

ثالثاً: الإسلام دين يرفض الاعتداء بكل صوره، والعدوان بكل أساليبه، والإبادة بكل أنواعها، والتشريد بكل أشكاله، وهذا الرفض للإرهاب لا يخص جماعة، ولكنه يشمل الناس جميعاً، ومقدساتهم، وأموالهم ... إلخ.

رابعاً: إن الإسلام شرع المقاومة والجهاد بالنفس والمال، ورداً للعدوان، ودفعاً للاعتداء، وحماية للمسلمين وأعراضهم، وأموالهم، ومقدساتهم، وعقاباً للمجرمين الذين يحاربون

الحق، ويريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم.

خامساً: إن مفهوم الإرهاب في الغرب يتمثل في العدوان، والاعتداء، والإبادة، والتشريد، ويشمل الناس جميعاً، وأعراضهم، وأموالهم، ومقدساتهم. والتاريخ أكبر شاهد على وحشية الغرب التي شملت الناس بالتعذيب والتنكيل.

سادساً: إن الإرهاب في الغرب عقيدة وشريعة، جاءت به كتبهم المقدسة، ودعت إليه مصادرهم الدينية، ومارسه أحبارهم ورهبانهم، وأقرته كنائسهم ومعابدهم، ووصت به مجامعهم ومؤتمراتهم.

سابعاً: إن الغرض من هذا الاتهام تشويه الإسلام وأمته وتاريخيه ودعوته، والقضاء على العالم الإسلامي، وأن هذا الاتهام ليس جديداً، فمن قبل اتهم آباؤهم الإسلام بأنه انتشر بالقوة والسيف. والتاريخ يشهد بأن الدعوة إلى الإسلام قامت على الحكمة، والموعظة الحسنة، والجدل بالتي هي أحسن، وإن الدعاة المسلمين لم يكرهوا أحداً على الدخول في الإسلام، ولم يجبروا أحداً على ترك دينه وعقيدته.

التوصيات

1. نوصي في هذا البحث بضرورة دراسة تاريخ الإسلام والمسلمين، وبالرجوع إلى المصدر الأول القرآن الكريم والسنة المطهرة التوضيح مفهوم الجهاد والاستشهاد، والتفرقة بينه وبين مفهوم الإرهاب.
2. أن يهتم علماء المسلمين بالاجتهاد فيما استجد على العالم الإسلامي من أمور، ومصطلحات مثل الإرهاب حتى لا يخلط الناس بين هذه المصطلحات الجديدة وبين الإسلام.
3. الاهتمام بعرض جانب التسامح والعفو والرحمة التي يتم بها الإسلام، حتى يفهم الغرب بعد هذا الدين عن الإرهاب بكل معاينه.
4. توضيح مفهوم الفتوحات الإسلامية والفرق بينهما وبين الاستعمار الغربي لشعوب الأرض.

المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم.
2. الأدب المفرد. للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري. الطبعة الأولي 1415هـ - 1995 هدية من الشيخ صالح عبد الله العمودي.
3. الإرهاب التهديد والرد عليه. إريك موريس والآن هو ترجمة د. أحمد حمدي محمود. مكتبة الأسرة 2001 الهيئة المصرية العامة للكتاب.
4. الإرهاب الدولي: حشمت درويش. مكتبة مدبولي الصغير.
5. الإرهاب والعقاد. د. محمود صالح العادلي. دار النهضة العربية. الطبعة الأولى 1414هـ - 1993 م.
6. أساس البلاغة الزمخشري. تحقيق عبد الرحيم محمود. تعريف أمين الخولي. دار المعرفة بيروت لبنان. طبع 1402 هـ - 1982 م.
7. الأسفار المقدسة. د. علي عبد الواحد وافي نهضة مصر. الفلة القاهرة.
8. الإسلام في مواجهة حملات التشكيك. د. محمود حمدي زقزوق سلسلة قضايا إسلامية. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية العدد (45) 1419 هـ - 1999م.
9. أضواء على اليهودية من خلال مصادرها د. محمد أحمد دياب، ط أولى دار المنار للنشر والتوزيع ط 1406 ه، 1985.
10. ترجمة يوسف نصر الله. قدم له مصطفى أحمد الزرقا د. حسين ظاظا. دار القلم. دمشق. دار العلوم بيروت.
11. الترغيب والترهيب. الإمام زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري المتوفى سنة 656هـ. مكتبة الدعوة الإسلامية
12. التطرف الديني وأبعاده أمنيا. وسياسياً واجتماعياً. الشيخ جاد الحق علي جاد الحق. هدية مجلة التوحيد (أنصار السنة المحمدية).
13. تفسير الشعراوي. للإمام محمد متولي الشعراوي صادر عن مؤسسة أخبار اليوم القاهرة.
14. تفسير المراغي. أحمد مصطفى المراغي. مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر
15. الجامع لأحكام القرآن. للإمام القرطبي. دار الريان للتراث.
16. حتمية الحل الإسلامي. د. أبو المعاطي أبو الفتوح. مطبعة الجبلاوي ط 1977 م.

17. حضارة العرب. غوستاف لوبون. الهيئة المصرية العامة للكتاب. مكتبة الأسرة 2000م.
18. حقيقة الغرب بين الحملة الفرنسية والحملة الأمريكية.
19. الخطر اليهودي، بروتوكلات حكماء (خبُاء) صهيون، ترجمة محمد خليفة التونسي، وعباس محمود العقاد، مكتبة دار التراث. ط أولى، القاهرة.
20. د. مصطفى عبد الغني. الهيئة المصرية العامة للكتاب 2001 م.
21. دقة الدعوة والإعلام. د. عمارة نجيب محمد مكتبة سعيد رأفت. جامعة عين شمس.
22. زاد المعاد في هدي خير العباد: للإمام ابن قيم الجوزية. المطبعة المصرية ومكتبتها.
23. سنن ابن ماجة: للإمام الحافظ عبد الله محمد بن يزيد القزويني. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي دار الحديث، القاهرة.
24. سنن أبي داود: للإمام الحافظ أبي داود سليمان ابن الأشعث السجستاني. دار الحديث. طبع 1408 هـ - 1988م.
25. سنن الترمذي: لأبي عيسي محمد بن عيسي بن سورة تحقيق أحمد محمد شاكر مطبعة مصطفى البابي الحلبي الطبعة الثانية 1398 هـ 1978 م
26. سنن النسائي: بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي دار إحياء التراث العربي بيروت. لبنان.
27. السيرة النبوية: للإمام ابن كثير. تحقيق مصطفى عبد الواحد. مطبعة عيسي الحلبي. القاهرة.
28. صحيح مسلم بشرح النووي المكتبة المصرية ومكتبتها.
29. صحيفة الجماهيرية، تصريح العقيد معمر القذافي لمراسلي وكالات الأنباء العالمية العدد 1603 بتاريخ 26-7-1994
30. الصرب الأرثوذكس، الطائفة المفترى عليها، د. جعفر عبد الهادي صاحب دار النخلة للنشر، ط أولى 1997، طرابلس، ليبيا.
31. صفوة التفاسير المطبعة العربية الحديثة بالعباسية طبع علي نفقة السيد حسن عباس شربتلي.
32. فتح الباري بشرح صحيح البخاري. للإمام الحافظ أحمد بن علي حجر العقلاني. دار بيروت. لبنان.
33. الفكر المادي في ميزان الإسلام. د. صابر طعيمة مكتبة المعارف بالرياض.
34. في ظلال القرآن. الشيخ سيد قطب دار الشروق بيروت. الطبعة السابعة 1398 هـ - 1978م.

35. قصة الحضارة: ول ديورانت الهيئة للكتاب. مكتبة الأسرة 2001م.
36. قضية البوسنة والهرسك، دراسة تاريخية، الأرقم الزغبي بيروت، دار النفائس 1993.
37. الكنز المرصود في قواعد التلمود:
38. لسان العرب. لابن منظور. المؤسسة المصرية العامة للتأليف.
39. مأساة كشمير. عبد القادر خان. ترجمة إبراهيم نوار، مطبعة مصر. 1948 م.
40. مبادئ التعايش السلمي في الإسلام. د. عبد العظيم المطعني. دار الفتح للإعلام العربي. القاهرة. محرم 1417 هـ - 1996 م. د
41. مجمل اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا اللغوي، تحقيق زهير عبد المحسن سلطان مؤسسة الرسالة. بيروت. الطبعة الأولي 1404 هـ 1984 م.
42. مختار الصحاح: الرازي. ترتيب محمود خاطر. دار الحديث، بجوار الأزهر الشريف. بالقاهرة.
43. مذهب التقديس في ذهاب الفرنسيس. الجبرتي
44. المسحية نشأتها وتطورها: شارل جينيبر. تقديم د. عبد الحليم محمد. دار المعارف. مصر الطبعة الثانية.
45. المسلمون المنسيون. يسري عبد الغني البشري مكتبة ابن سينا.
46. المسيحية: د. أحمد شلبي. الطبعة العاشرة سنة 1993 م مكتبة النهضة المصرية.
47. المصنف في الأحاديث والآثار. لابن أبي شيبة. تحقيق عبد الخالق الأفغاني. بدون دار نشر.
48. المعجم الوجيز: مجمع اللغة العربية القاهرة طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم سنة 1415 هـ - 1994 م
49. مفاتيح الحضارة وتحديات العصر. د. محمود زقزوق. سلسلة قضايا إسلامية. العدد (33) المجلس الأعلى للشئون الإسلامية 1418 هـ - 1998 م.